جامعة عبد الرحمان ميرة– بجاية

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

قواعد الكتابة الفنية عند ابن الأثير من خلال كتابه:
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين :

1/ لامية فلكاوي

2/ سمية فراج

إشراف الأستاذ:

محمد فلاق

السنة الجامعية

2018 /2017

إهـــــــــــــــــداء

إلى كلّ من أحبني، اهتم لأمري وتمنى لي الخير
دون أسماء، دون ذكر للعلاقات، قريبًا كان أو بعيدًا
أهدي هذا العمل ولسان حالي يقول:

ولو أنّا أوتينا كلّ بلاغة
وأفنينا بحر النّطق في النّظم والنثر
لما كنّا بعد القول إلّا مقصرّين
ومعترفين بالعجز عن واجب الشكر

فلكاوي لامية

إهـــــــــداء

إلى أستاذي الأول الذي علّمني ألف باء القراءة....والدي

إلى التي قال عنها الرسول صلّى الله عليه وسلّم:"الجنّة تحت أقدام الأمهات".....أمي التي أسعى إلى برها والإحسان إليها.

إلى أختاي وأخي وكلّ أحبتي.

فراج سمية

عرف الخطاب النثري في العصر العباسي تطورًا كبيرًا مكنّه من مزاحمة الشعر في مكانته السامية التي احتكرها منذ العصر الجاهلي، ومرّد ذلك مناسبة النثر بمختلف أشكاله لحياة التمدّن والرُقي الذي عرفه العصر العباسي.

و من المتعارف عليه ما لوحظ على الدراسات النقدية التراثية من تهميشها للخطاب النثري في مقابل اهتمامها بالخطاب الشعري، والمتتبع للنقد القديم يجد نفسه أمام ثنائيتين متناقضتين هما ثنائية المركز (متمثلا في الشعر) والهامش (الذي يمثله النثر).

ورغبة منا في استكشاف التراث النثري القديم، وتسليط الضوء على بعض جوانبه المغيبة في البحوث الجامعية، اخترنا الاشتغال على واحد من المصادر التراثية، التي اعتنى أصحابها بواحدة أو بجملة من قضايا الأدب الواسعة، لذا كان بحثنا في موضوع: قواعد الكتابة الفنية عند ابن الأثير من خلال كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وهو الموضوع الذي أثار لدينا عدّة تساؤلات لعلّ أهمها:

ما القواعد الفنية التي يجب أن يسير عليها الكاتب والشاعر؟

ما مدى تأثير كتاب المثل السائر في الوسط النقدي العباسي؟

هذا وقد كان لتميّز ابن الأثير في نقده وكذا بروزه في عصر تراجع الأدب أثر كبير في اختيارنا له ليكون محور دراستنا التي تؤكد لنا وجود أعلام في النقد والأدب غيّبوا لأنّهم وُجدوا في عصر انحطاط وتراجع الأدب.

ولدراسة هذا الموضوع والتغلغل فيه فقد اعتمدنا على منهج علمي مناسب لموضوع بحثنا وهو المنهج الوصفي التحليلي، حيث قمنا باستخراج القواعد التي حدّدها ابن الأثير للكاتب والشاعر في كتابه "المثل السائر"، وقد اعتمدنا في أنجاز هذا البحث على خطة منهجية قامت على فصلين، حيث تطرّقنا في الفصل الأول إلى الحياة الأدبية لابن الأثير

مستعرضين أهم مؤلفاته لنقف مطولا على كتاب"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"،فعرّفنا بأهم محاوره دون أن نغفل تأثيره في الوسط الأدبي العباسي.

أما في الفصل الثاني فقد أشرنا إلى قواعد الكتابة الفنية لدى ابن الأثير، وقمنا باستخراج مختلف القواعد التي حدّدها في كتابه واستعرضنا الأمثلة الموضحة لكلّ قاعدة من القواعد المذكورة، لنختم بحثنا بخاتمة شاملة تضمّنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا.

ولإثراء بحثنا هذا فقد اعتمدنا على العديد من المصادر والمراجع التي وإن لم تتناول الكتابة الفنية لدى ابن الأثير بشكل خاص إلا أنّها أفادتنا، نذكر منها:

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير(كلّ الأقسام).
- ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد لمحمد زغلول.
- الجامع في تاريخ الأدب العربي لحنّا الفاخوري.
- كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون لحاجي خليفة.
- نصرة الثائر على المثل السائر للصفدي.

وكأي بحث أكاديمي فقد واجهنا أثناء انجازنا لبحثنا هذا مجموعة من الصعوبات لعلّ أهمها:

- قلّة الدراسات المنجزة عن عصر ابن الأثير بصفة عامة والتي تتناول أعمال الأديب بصفة خاصة.
- نقص المصادر والمراجع والقلة التي عثرنا عليها هي مجرد عناوين مبثوثة في صفحات الكتب دون وجودها ككتاب.
- صعوبة التعامل مع الكتب التراثية نتيجة التعقيد الذي تتميز به.

وهكذا أنهينا بحثنا هذا آملين أن يكون فاتحة خير لنا ومنطلقا لإنجاز بحوث أفضل لدراسات أعلى، ولم يتبق لنا سوى أن نتقدّم بالشكر الجزيل والعرفان لكلّ من ساعدنا في انجاز هذا البحث ونخصّ بالذكر الأستاذ المشرف محمد فلاق الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته.

المدخل

ابن الأثير وكتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر

يعتبر ابن الأثير أهم من تحدّث عن الكتابة الفنية وحدّد أسسها وقواعدها التي يُشترط على الأديب الالتزام بها والسير عليها، فمن هو ابن الأثير؟ وما هي أهم كتبه؟ والأهم ما هي القيمة الفنيّة لكتابه المثل السائر؟.

التعرّيف بابن الأثير وأدبه

أولا : مسار حياة ابن الأثير

هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجرزي، الملّقب بضياء الدين[1].

ولد ابن الأثير بجزيرة ابن عمر* سنة 551 هـ الموافق لـ 1163 م، ونشأ بها ثم انتقل مع والده إلى الموصل، و بها اشتغل وحصلّ علوم الدين حيث حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة إلى جانب حفظه كثير من أشعار العرب، وكما كان معمولا به لدى العرب منذ القِدم فقد قصد ابن الأثير وعلى غِرار معظم أدباء عصره الخلفاء و تقرّب منهم، حيث قصد في البداية الملك النّاصر صلاح الدّين سنة سبع وثمانين وخمسمائة هـ[2]. وصله القاضي الفاضل بخِدمة صلاح الدين واستمر في ذلك مدّة من الزمن ثم طلبه الملك الأفضل نور الدّين بن صلاح الدّين و وليّ أمره بدمشق فخيّره صلاح الدّين بين البقاء معه أو الالتحاق بولي العهد فاختار الذهاب إلى دمشق، وبعد وفاة صلاح الدّين الأيوبي استقلّ

---

[1]– ضياء الدّين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقدّيم وتعلّيق : بدوي طبانة و أحمد الحوفي، القسم1، دار نهضة مصر للطبع والنّشر، الفجالة، القاهرة، ص 27.

*وهي قرية صغيرة قرب الموصل في أرض خصبة، يحيط بها نهر دجلة من جهة واحدة، عُمل منها خندق يوصل به الماء لكلّ أرجاء الجزيرة.

يُنظر عبد الواحد حسن الشيخ، قواعد الكتابة الفنية عند ضياء الدّين ابن الأثير، ط1، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر، 1419هـ/1999م، ص9.

[2]– ينظر المصدر نفسه، ص 27.

الملك الأفضل بمملكة دمشق وقام بتعيين ابن الأثير وزيرا لديه، لكنّ ابن الأثير أساء الحكم ومعاملة أهلها مما تسبب له في عدّة مشاكل مع العامة و حكّام الدولة الأيوبية والتي وصلت إلى حد محاولة قتله، فبقي متنقلًا بين الملوك والإمارات ما بين الشام والعراق[1] إلى أن توفي سنة 637 هـ /1239 م ببغداد[2].

ثانيا : أدب ابن الأثير

خلّف ابن الأثير تراثا أدبيا غزيرا خلّد اسمه في سماء الأدب العباسي، فرغم عيشه في عصر تراجع الحضارة العباسية وانهيار البنيان العربي إلّا أنّه تمكنّ من إثبات ذاته بشهادة كبار العلماء منهم "حنّا الفاخوري" الذي قال عنه: " رجل العلم الذي يُضرب به المثل، ورجل الثقافة التي لا يُنتهى إليها إلّا بالجدّ الذي لا يعروه ملل فهو يجول في الأدب جولة من حوى الأدب في صدره، ويتقلّب في الكتاب والشعراء تقلّب من وقف على قريب وبعيد ومن فقه كلّ قديم وجديد..."[3].

يرى محمد مولود الأنصاري أنّ ابن الأثير ناقد فذّ له أسلوبه المتميّز الذي يضمن له مكانة مميزة بين نقاد عصره، وفي ذلك يقول:"ظهر في القرن السابع الهجري البلاغي الجليل والناقد الفذ/ضياء الدين ابن الأثير، الذي تميّز بأسلوبه الجيّد، وطريقته الفريدة في طرح القضايا البلاغية والنّقدية[4].

---

[1]– ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 36 .

[2]– المصدر نفسه، ص 37 .

[3]– حنّا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم –، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 1986، ص 652.

[4]– محمد مولود الأنصاري: الطبع والصنعة عند ابن الأثير كتابه:"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، د ت، ص402.

رغم انشغال ابن الأثير بالسياسة إلّا أنّه ترك عدّة كتب خلّدت اسمه في تاريخ الأدب نذكر منها:[1]

1- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: طُبِع لأول مرة في مصر سنة 1939 بتحقيق محمد بن محي الدّين عبد الحميد، ثم سنة 1959 م بتحقيق الدكتورين أحمد الحوفي و بدوي طبانة.

2- الوشي المرقوم في حلّ المنظوم، طُبع في بيروت سنة 1289 هـ.

3- المرّصع في الأدبيات، طبع في الأستانة سنة 1304 هـ ثم طُبع مرة ثانية في ألمانيا سنة 1896 م.

4- المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء.

وله مجموعة اختار فيها أفضل أشعار أبي تمام والبحتري و ديك الجنّ والمتنبي وجمعهم في مجلّد واحد كبير[2].

[1]- محمد مولود الأنصاري: الطبع والصنعة عند ابن الأثير كتابه: "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، ص649.

[2]- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القسم1 ، ص 28 .

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:

مضمون المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:

يُعتبر كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر من أهم مؤلفات ابن الأثير، والذي أورده في مقدمة تضمنّت عشرة فصول تناول فيها موضوع علم البيان وأدواته وما جاء في الحُكم على المعاني والترجيح فيما بينها، كما تطرّق إلى جوامع الكلِم والحِكمة التي هي ضالة المؤمن بالإضافة إلى حديثه عن الحقيقة والمجاز والفصاحة والبلاغة، ولم يغفل ابن الأثير في كتابه هذا عن أركان الكِتابة وطرائق تعلّمها.

وتلت المقدمة مقالتان حول عِلم البيان:

المقالة الأولى تمحورت حول الصناعة اللّفظية مثل السجع والتجنيس وما إلى ذلك، والتي قسمها إلى قسمين :

القسم الأول في اللّفظة المفردة.

القسم الثاني في اللّفظة المرّكبة.

المقالة الثانية حول الصناعة المعنوية مثل الاستعارة والتشبيه والإيجاز والإطناب وما إلى ذلك[1].

القيمة الفنية للمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:

يصنّف المثل السائر ضمن أهم ما ألّف في مجال البيان والبلاغة العربية فهو أشهر من نار على علم، حظيّ باهتمام وثناء القدماء والمحدثين حيث قال عنه ابن خلكان في وفياته: "ولضياء الدّين من التصانّيف الدّالة على غزارة فضله وتحقيق نبله كتابه الذي سمّاه: المثل

[1]– يُنظر ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القسم1 ، ص 28 .

السائر في أدب الكاتب والشاعر، وهو في مجلّدين جمع فيه فأوعى، ولم يترك شيئا يتعلّق بفن الكتابة إلّا ذكره "[1].

فكلام ابن خلكان اعتراف صريح بمكانة ابن الأثير وشمولية كتابه المثل السائر لكلّ ما يخصّ الكتابة الفنية.

وعلى غِرار ابن خلكان تحدّث حنّا الفاخوري عن ابن الأثير وكتابه المثل السائر فقال: "كتاب ابن الأثير خاتمة الدّراسات العباسية في موضوع البلاغة العربية، أراد فيه صاحبه أن يقول الكلام الفصل وأن يكون فيه إمام الأقدمين وأستاذ المحدثين، نهض فيه نهضة عنفوان يريد مطاولة السابقين واللّاحقين، ومدّ السلطان العلمي على كلّ باحث وناقد"[2].

وجّه ابن الأثير من خلال كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" نقدا لاذعا لمن أسماهم متخلّفي صناعة الإنشاء لمبالغتهم في اعتماد السجع في كتاباتهم، فقال: " وقد رأيت جماعة من متخلّفي هذه الصناعة يجعلون همهم مقصورا على الألفاظ التي لا حاصل وراءها ولا كبير معنى تحتها، وإذا أتى أحدهم بلفظ مسجوع على أيّ وجه من الغثاثة والبرد، يعتقد أنّه أتى بأمر عظيم ...فقاتل الله القلم الذي يمشي في أيدي الجهّال الأغمار، ولا يعلم أنّه كجواد تحت حمار"[3].

فهؤلاء المتخلّفون ـ حسب تعبير ابن الأثير ـ اعتقدوا أنّ الكتابة مجرّد ألفاظ مزوقة وجمل مزخرفة دون اهتمام بالمعنى، وعظّموا على تخلّفهم كتاباتهم المزخرفة.

يُعتبر كتاب المثل السائر لابن الأثير كتاب نثر ونقد وبلاغة وهذا بسبب ما تضمّنه من لمحات نقدية حوّلت الكاتب إلى عَلمٍ من أعلام النقد العربي، وكذا ابتعاده عن التقسيم

1- محمد زغلول: ضياء الدّين ابن الأثير وجهوده في النّقد، دار المعارف،ط1 ، القاهرة ، مصر ، 1949، ص 49.

2- حنّا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم - ، ص 650.

3- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،القسم1، ص 211.

البلاغي المعروف: علم البيان وعلم المعاني وعلم البديع[1]، فالمثل السائر كتاب نقدي غنيّ بالقواعد الفنية الكثيرة والملاحظات النقدية العميقة.

هذا وقد كان لكتاب المثل السائر ولهجة مؤلّفه أثر كبير على الجمهور المتلّقي الذي انقسم إلى قسمين:

قسم أنكر لهجة ابن الأثير . المتبجحة . ونذّدوا بتطاوله على أرباب الصناعة وإنكاره لفضلهم عليه، وقلّلوا من شأن الكتاب وقالوا بأنّه ليس فيه أيّ تجدّيد بل هو مجرّد تكرار لما سبق، وهذا الرأي يعكس لنا ذاتية الخصوم الذين حكموا على الكتاب انطلاقا من "عناد الرجل وادعائه شيئا من العِصمة فيما يقول ويعالج "[2].

وما يعكس لنا الضجّة الكبيرة التي أحدثها المثل السائر هو تأليف ابن الحديد لكتاب سماه "الفلك الدائر على المثل السائر" وهو الكتاب الذي جاء ردّا على المثل السائر لابن الأثير. إنّ القارئ والمتأمّل لكتاب المثل السائر يجد فيه الكثير من المباهاة من قِبل الكاتب وادعاء السّبق حيث يقول: "هداني الله لابتداع أشياء لم تكن من قبلي مبتدعة ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابعة إنّما متبعة "[3].

تحدّث حنّا الفاخوري في كتابه " تاريخ الأدب العربي" عن غرور ابن الأثير فقال: "فكأنّه وحيد الدّهر، و زبدة الأيام، وكأنّ كتابه عصارة كلّ علم، ومنتهى ما يمكن الوصول إليه في باب التنقيب والتمحيص، ولهذا كان الرجل كثير السوق لنفثات قلمه، كثير الاستشهاد بما خطّه يراعه ..."[4].

---

[1]– يُنظر محمد أبحير: ابن الأثير وكتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، http//anfasse.org/، 10 جوان 2018.

[2]– حنّا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم – ، ص 650.

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]–حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص650.

يؤكد لنا قول حنّا الفاخوري ما سبق وأن قلناه عن تبجّح ابن الأثير وغروره، فهو يرى أنّه أعلم أهل زمانه وأنّ ما أتى به من علم هو ابتداع لم يسبقه إليه أحد ولا فضل لأي متقدّم عليه.

عاب بعض النقاد على ابن الأثير كثرة تقسيماته، إذ يقسم النوع الواحد إلى عدة فروع متقاربة، ومن ذلك قولهم:" ومن الإجراءات التي اعتمدها ابن الأثير احتفاؤه بكثرة التقسيم والتفريغ، وهو النهج الغالب على الكتاب، لغلبة الطابع التعليمي عليه، وقد نقد ابن الأثير على الرغم من ذلك، الغزالي في تقسيمه المجاز أربعة عشر قسمًا، وهي في مجملها، في رأي ابن الأثير، ترجع إلى أنواع المجاز الثلاثة التي تحدّث عنها، أي التوسع والتشبيه والاستعارة، ولا تخرج عن أي منهما، وقد حاول ابن الأثير في تقسيماته ألّا يترك نوعًا إلّا ذكره، على أن يكون في كلّ قسم ما يُميزه من الآخر، ولعلّ حرصه هذا أوقعه كما وقع الغزالي"[1].

وفي المقابل يرى المؤيدون أنّ كتاب المثل السائر من أروع ما أُلِّف في موضوع الكتابة الفنية واتخذوا من كلّ عبارة أوردها الكاتب حجة، وعلى غِرار خصوم ابن الأثير فقد ألّف مناصروه كذلك كتبا ردّوا من خِلالها على منتقديه وخاصة كتاب " الفلك الدائر على المثل السائر " لابن الحديد، نذكر منها كتاب "الروض الزاهر في محاسن المثل السائر" وكتاب"نشر المثل السائر وطيّ الفلك الدائر" للسنجاري، بالإضافة لكتاب عبد العزيز بن عيسى الموسوم بـ "قطع الدابر عن الفلك الدائر"[2].

2- ريان عبد المجيد جلول و وفيق محمود سليطين: في المنهج النقدي عند ابن الأثير في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، نصف سنوية مُحكمة، العدد الواحد والعشرون، ربيع وصيف، 1394هـ/2015م، ص 165.

2- يُنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدّين و رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 2، ص 1086 .

فالكتب السابقة الذِكر والمؤلّفة خصّيصا للدفاع عن المثل السائر تؤكد لنا وبشكل لا يترك مجالًا للشك المكانة الكبيرة لابن الأثير وشهرة كتابه المثل السائر.

أشارت بعض الدراسات الأكاديمية إلى اعتماد ابن الأثير في تأليف كتابه " المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر على مجموعة من المراجع نذكر منها[1]:

1- تفسير البلاذري وتفسير النقاش المسمى شفاء الصدور.

2-صحيح البخاري وصحيح مسلم والموطأ وسنن أبي داوود وسنن النسائي.

3- إحياء علوم الدين وكتاب الأربعين للغزالي.

4- الخصائص لابن جني.

الكتب التي أُلِفت نصرةً للمثل السائر أو انتقاصًا له:

دفع أسلوب ابن الأثير في كتاب "المثل السائر" و طريقته في انتقاد من سبقه من النقاد والأدباء، دفعهم إلى الرد عليه عبر تأليف عدّة كتب تحاول الانتقاص من قيمته الأدبية، وهو السبب الذي جعل أتباع ابن الأثير يؤلفون كتبا لنقد ونقض الكتب التي ثارت في وجه ابن الأثير والانتصار له.

الكتب المنتقدة للمثل السائر:

توجد العديد من الكتب التي تردّ على ابن الأثير ولكنّنا اكتفينا باستعراض أهمها والتي حصرناها في كتابين:

[1]- جامعة بابل كلية التربية الأساسية: المثل السائر لابن الأثير، http//www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/lecture.، جوان 2018.

الفَلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد

يُعتبر كتاب "الفَلك الدائر على المثل السائر" لابن أبي الحديد من أهم ما تم تأليفه في الرّد على ابن الأثير.

التعريف بالكاتب:

هو عز الدّين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، المدائني المعتزلي الشيعي الفقيه الشاعر، وُلد سنة 586 هـ، وكان من أعيان العلماء الأفاضل جيّد النثر والشعر، اشتغل في دوانين السُلطة وشهد إغارة المغول على بغداد وتدمير هولاكو لها[1].

تُوفيّ سنة 656 هـ مخلّفًا وراءه مُؤلفات عدّة تعكس سعة ثقافته الشعرية والأدبية منها[2]:

– شرح نهج البلاغة.

– العبقري الحِسان.

– الاعتبار على كتاب الذريعة في أصول الشريعة للسيد المُرتضى، وهو في ثلاث مُجلدات.

– شرح المُحصل في للإمام فخر الدين، وهو نقد لكتاب المحصل وردود عليه.

أما في الشعر فله الكثير أهمه وأجله القصائد السبع العلويّات في الإشادة بعلي رضي الله عنه.

الفَلك الدائر على المثل السائر:

قصد ابن أبي الحديد من خلال تأليفه لهذا الكتاب الرّد على كتاب المثل السائر وبيان محموده من مردوده، كما أراد الكاتب من خلال كتابه هذا أن يبيّن لأهل الموصل الذين هللّوا

[1]– يُنظر ابن الأثير: المثل السائر، القسم الرابع، ص15.

[2]– المصدر نفسه، ص 16.

لكتاب المثل السائر المُؤاخذات الكثيرة التي تضمّنها الكتاب لعلّ أهمها اعتراضه وتحامله على الفُضلاء، هذا بالإضافة إلى رغبة ابن أبي الحديد في إيصال رسالة إلى ابن الأثير ورؤساء مفادها أنّ في خدم المُستنصر من يفوقه علمًا وافتتانا[1].

وعلى نقيض ما صرّح به ابن أبي الحديد عن أسباب تأليفه للفلك يرى محمد زغلول في كتابه الموسوم بـ:" ضياء الدّين ابن الأثير وجهوده في النقد" أنّ الأسباب الحقيقية وراء تأليف الفلك الدائر هو الحسد والحقد اللّذان شعر بهما ابن أبي الحديد نحو ابن الأثير بعد أن ذاع صيته في كلٍّ من بغداد والموصل[2].

يعكس لنا تسمية الكتاب " الفَلك الدائر على المثل السائر" توجه الكاتب، والمتمثل في الردّ والحطّ من المثل السائر، ذلك أنّه شاع عند العرب القول " دار الفَلك" على ما باد ونثر ومن ذلك قول أبي العتاهية:

إن كنت تنشُدُهم فإنّهم همدوا ودار عليه الفَلك[3]

قسّم الباحثون نقد ابن أبي الحديد للمثل السائر من خلال كتابه" الفَلك الدائر" إلى ثلاث أقسام:

1- نقد حق: مثل ذلك قول ابن الأثير:" ولا أدعي فيما ألّفته فضيلة الإحسان، ولا السلامة من سبق اللّسان"، ثم قال بعد سطر واحد:" وإذا تركت الهوى قلت إنّ هذا الكتب بديع في إغرابه، وليس له صاحب من الكتب فيُقال إنّه متفرد بين أصحابه"[4].

---

[1]- يُنظر ابن الأثير، المثل السائر، ق4، ص 21.

[2]- محمد زغلول، ضياء الدّين ابن الأثير وجهوده في النقد، ص359.

[3]- ابن الأثير، المثل السائر، ق4، ص35.

[4]- المصدر نفسه، ص 23.

ناقض ابن الأثير في قوله هذا كلامه السابق الذي يدعي فيه التواضع، وهو ما أعابه عليه ابن أبي الحديد الذي ردّ عليه بقوله:" وهل يدعي أحد فضيلة الإحسان بأبلغ من هذا الكلام؟"[1].

من الأمثلة التي أوردها ابن أبي الحديد في نقده لابن الأثير تفسير صاحب المثل لبيت أبي صخر الهذلي:

عجبتُ لسعي الدّهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكنَ الدهر

فهذا القول يحتمل وجهين من التأويل أحدهما أنّه أراد بسعي الدهر سرعة تقضي الأوقات مدّة الوصال فلما انقضى الوصل عاد الدهر إلى حالته الأصلية، أما الثاني فأراد به سعي أهل الدهر بالنمائم والوِشايات فلما انقضى ما بينهما من الوصل سكنوا عن الوشاية بينهما[2].

علّق ابن أبي الحديد بقوله: التفسير الثاني هو الصحيح، والأول غير صحيح لأنّه قال (بيني وبينها) وهذه اللّفظة تمنع من أن يُريد سرعة تقضي الزّمان أيام وصالنا، بل تحمل معنى العناية والنميمة بالشر[3].

2- نقد مجانب للحق: ذهب ابن الأثير إلى أنّ صناعة تأليف الكلام المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة، وثقافة متنوعة، كما ينبغي على الكاتب أن يكون مضطلعًا بمختلف العلوم والفنون إلى جانب الطبع الذي لا يُمكن الاستغناء عنه[4].

رفض ابن أبي الحديد اعتبار الفنون والعلوم التي ذكرها ابن الأثير من ضروريات الكتابة والتي لا تقوم إلا بها، واستدلّ على كلامه بخطباء الجاهلية وأول الإسلام، الذين ورغم غياب

---

[1]- ابن الأثير: المثل السائر،ق4، ص 23.

[2]- المصدر نفسه، ص 26.

[3]- يُنظر المصدر نفسه، ص26.

[4]- يُنظر المصدر نفسه، ص 28.

تلك الفنون إلا أنّهم تمكنوا من تأليف خُطبٍ قوية، غير أنّ ابن أبي الحديد أخطأ في تحليله هذا، ذاك أنّ ابن الأثير لم يعرض بالذِكر للخطباء بل تحدّث عن الكاتب والشاعر فقط[1].

عرض ابن الأثير في كتابه المثل السائر إلى ما يحتاجه الكاتب والشاعر وخصّ الشاعر بعلم العروض، وبالتالي فلا مبرر لاعتراض ابن أبي الحديد بقوله أنّ ما يحتاج إليه الكاتب يحتاج إليه الشاعر وزيادة[2]، فابن أبي الحديد أراد بقوله هذا أنّ ابن الأثير لم يتحدّث سوى عن الكتاب والخطباء، وهو ما يعدّ تحاملًا عليه وتقويله بما لم يقله.

إنّ القارئ لكتاب الفَلك الدائر يلمسُ تحاملًا لصاحبه على ابن الأثير، ومن ذلك قوله:"إن كان هذا الرجل ممن ينفي القياس في الشرعيات كلّمناه كلامًا أصوليًا، كما نكلّم الشيعة والنّظام وأهل الظاهر وغيرهم ممن نفى القياس في الفقه، وإن كان يعترف بالقياس في الشرعيات فالقياس في النحويات كالقياس في الشرعيات"[3].

رغم مؤاخذة ابن أبي الحديد لابن الأثير في فخره بنفسه وغروره إلا أنّه لم يسلَم هو كذلك من الوقوع في فخ الفخر، ويظهر ذلك في قوله:" والزيادات العجيبة، والتسميطات والأسجاع التي أتينا بها تزري على ما أتى به هذا الكاتب، وتتجاوزه أضعافًا مُضاعفة[4]".

نُصرة الثائر على المثل السائر لصلاح الدّين الصَفدي:

يُعتبر كتاب نُصرة الثائر وعلى غرار الفَلك الدائر من الكتب الكثيرة التي أُلِفت ردًّا على المثل السائر لابن الأثير.

---

[1]– يُنظر ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، الصفحة نفسها.

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص 29.

[3]– المصدر نفسه، ص29.

[4]– المصدر نفسه، ص 30.

التعريف بالكاتب:

هو خليل ابن الأمير عز الدّين أيبك بن عبد الله الألبكي الصفدي، صلاح الدين أبو الصفاء، كان والده من أمراء المماليك، ووُلِد له خليل في صفد سنة 696هـ، نشأ نشأة عربية خالصة على غِرار أقرانه من أبناء المماليك، وعاش حياة الرغد في نعيم والده ولم يشتغل حتى استوفى العشرين عامًا، وهو ما ساعده على تطوير مواهبه المتعدّدة في الرسم والأدب والخط ومُختلف الفنون[1].

رحل إلى دمشق وتتلمذ على يد علمائها أمثال شهاب الدّين محمود وابن نُباتة الشاعر وأبي حيان النحوي فأخذ عنهم المغازي والنحو والفقه، بالإضافة إلى إطلاعه على التاريخ والحديث[2].

توفيّ الصفدي سنة 762هـ[3] مخلِّفًا ثروة أدبية تقدّر بأكثر من ستة وأربعين مؤلفًا نذكر منها:

- الوافي بالوفيات ولعلّه من أكبر المعاجم التاريخية والذي جاء في ثلاثين مُجلدًا[4].

- لوعة الشاكي ودمعة الباكي وهو مطبوع، طبع حجر بمصر سنة1274 وفي استانبول 1301.

- نكت الهميان في نكت العميان، تراجم فضلاء العميان وأخبارهم، وهو منسق ويتحلى بمقدمة حسنة في موضوعه، مطبوع.

---

[1]- صلاح الدّين خليل ابن أيبك الصفدي، نصرة الثائر على المثل السائر، تح محمد علي سلطاني، مطبوعات مَجمع اللّغة العربية بدمشق، سوريا، ص8.

[2]- يُنظر الصفدي، نصرة الثائر على المثل السائر، ص9.

[3]- يُنظر المصدر نفسه، ص23.

[4]- المرجع نفسه، ص 18.

– نجد الفلاح في مُختصر الصحاح، وهو مخطوط في اللُّغة أيضًا ورد في هدية العارفين 351/1.

– نصرة الثائر على المثل السائر[1].

كتاب نصرة الثائر على المثل السائر

نحى الصفدي في كتابه هذا منحى ابن أبي الحديد في نقده لكتاب المثل السائر ولعلّ عنوان هذا الكتاب يعكس بشكل لا شك فيه توجه مؤلفه، حيث هاجم الكاتب ابن الأثير واتهمه بالكِبر والخيلاء وازدراء أرباب الصنعة وهو ما غطى حسناته القليلة فقال:"...إلا أنّ واضعه وإن جمع فيه بين العِلم والعمل، وسجع فيه بين الثقيل والرمل، وتوهم أنّ بدر فضله قد تمّ وكمل، وتخيل أنّ جيد الإنشاء بعده قد عطل، وفنه قد خمل، قد أذهب حسناته النادرة، بتوالي سيئاته البادرة..."[2].

وجّه الصفدي نقدًا لاذعًا لكتاب المثل السائر فقال:" هذا إلى ما في الكتاب من فلتات عديدة، واختيارات غير موفقة ولا سديدة، ونصر باطلٍ، وتحلية عاطلٍ، وترجيح ما ضعُف ووهى، وتهوين ما تحرّر وانتهى"[3].

إنّ القارئ لكتاب نصرة الثائر على المثل السائر يلحظ بأنّ الصفدي وعلى نقيض ابن أبي الحديد لم يغفل أيّة نقطة من كتاب المثل السائر دون نقدها، فالصفدي انطلق في نقده للمثل من مقدمة الكاتب، حيث أعاب عليه عدم افتتاح كلامه بالحمدلة سيرًا على وصية المصطفى

[1]– الصفدي: نصرة الثائر على المثل السائر، ص 17.

[2]– المرجع نفسه، ص 42.

[3]– المرجع نفسه، ص 43.

عليه أزكى الصلوات والتسليم، وفي ذلك قال:" نسأل الله أن يبلغ بنا من الحمد ما هو أهل له"[1].

عاب الصفدي على ابن الأثير قوله:" إلا من ملكه لسانًا هجّامًا وخاطرًا رقّامًا"، وهذا لعدم وجود علاقة بين الرقم والخاطر ولا بين اللّسان والهجوم، وكان الأجدر به أن يقول لسانًا قوّالًا وخاطرًا جوّالًا"[2].

رفض الصفدي التقسيم الذي اعتمده ابن الأثير في التصريع، حيث يرى أنّه أخطأ في الترتيب وكان الأجدر به أن يورد القسم الثالث من التصريع" أن يكون الشاعر مخيّرًا في وضع كلّ مصراع موضع أخيه" هو الأول، ويؤخر ما ورد في القسم الأول وهو "جعل ما كان كلّ مصراعٍ مستقل بنفسه" إلى المرتبة الثالثة، فقال:" هذه المرتبة الثالثة أحق بأن تكون أولى من الأولى التي ذكرها هو، لأنّ مثل هذا النوع أعزّ من الأول، وفيه دلالة على تمكن الناظم وجودة طبعه"[3].

تحدّث ابن الأثير عن التجنيس فقال:" القسم الثاني من المشبه بالتجنيس أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن، مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير"[4]، غير أنّ ما أعابه عليه الصفدي استشهاده بأمثلة لا تخدم التعريف المقدّم منها قول أبي تمام:

يمدون من أيدٍ عواصٍ عواصمِ تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ[5]

ذكر ابن الأثير أنّ التجنيس هو تساوي الألفاظ في الوزن واختلافها في التركيب بحرف واحد، غير أنّ الملاحظ أنّ الفرق بين لفظتي " عواصٍ" و" عواصم" هو زيادة في حرفٍ

---

[1]– الصفدي: نصرة الثائر على المثل السائر، 53.

[2]– المرجع نفسه، ص101.

[3]– المرجع نفسه، ص143.

[4]– المرجع نفسه، ص144.

[5]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كامل، والأمر نفسه بالنسبة للفظتي " قواضٍ" و" قواضبِ" حيث نلاحظ زيادة حرف واحد في لفظة " قواضبِ " عن لفظة " قواضٍ"، وهو ما يُخاف التعريف السابق[1].

وعلى هذا النحو سار الصفدي في نقده لكلّ ما جاء في المثل السائر دون أن يغفل أيّ جزء من الكتاب.

الكتب المؤيّدة للمثل السائر

أحدث كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضجةً كبيرة بعد تأليفه، دفعت العديد من الأدباء إلى مهاجمته ومحاولة الحطّ من قيمته على غرار ابن أبي الحديد والصفدي، وفي المقابل فقد اتجهت مجموعة من الأدباء إلى نصرة المثل السائر وتأليف الكتب المنتصرة له والمقلّلة من شأن معارضيه في آن واحد، غير أنّ المعلومات الوحيدة المتوفرة عن هذه الكتب هي فقط ما أورده حاجي خليفة في كتابه" كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون"، والتي اقتصرت في عناوين الكتب وأسماء مؤلفيها، نذكر منها:

– الروض الزاهر في محاسن المثل السائر[2]، لم يذكر حاجي خليفة اسم مؤلفه واكتفى بالقول: " صنّف أحدهم" ولكن عنوانه كفيل بتبيان توجهه المنتصر للمثل السائر.

– نشر المثل السائر وطي الفَلك الدائر لأبي القاسم محمود بن الحسين الركن السنجاري المتوفي سنة 650هـ[3]،ورغم أنّ حاجي خليفة لم يقدّم معلومات كافية عن هذا الكتاب ومضمونه إلا أنّ عنوانه كفيل لإزالة أيّ إبهام قد يعتري الباحث حول توجه الكتاب والمتمثل في الانتصار للمثل السائر مقابل طي الفلك الدائر.

أورد الصفدي أبياتًا نسبها إلى السنجاري قال فيها منتقدا الفلك الدائر:

---

[1]– يُنظر الصفدي،نصرة الثائر على المثل السائر، ص145.

[2]–حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، ج2، ص 1086.

[3]– المصدر نفسه، ج2، الصفحة نفسها.

لقد أتى باردًا ثقيــلًا ولم يرِث ذاك من بعيدِ

فهو كما قد علِمتَ شيء أشهر ما كان في الحديد[1]

توفي السنجاري في السادس من شهر رمضان سنة 650هـ[2].

– قطع الدابر عن الفلك السائر لعبد العزيز بن عيسى[3]، من خلال العنوان نستشف نية الكاتب في مهاجمة المثل السائر والحطّ من شأنه.

– نزهة الناظر في المثل السائر لأبي العباس أحمد ابن محمد الدنيسري المعروف بابن العطار الشاعر المتوفي سنة 794هـ[4].

– نزهة الناظر في المثل السائر لنجم الدّين ابن اللّبودي[5].

كتاب المثل السائر كتاب قيّم ومكانته الفنّية لا يختلف فيها اثنين ولكن الجدل الذي قام حوله كان مردّه النظرة الاستعلائية لصاحبه وإنكاره لفضل المتقدّمين وليس لعيب في الكتاب لذاته.

[1]– الصفدي: نصرة الثائر على المثل السائر، ص 46.

[2]– المرجع نفسه، ص46.

[3]– حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، ج2، ص 1086.

[4]– المرجع نفسه، ج2، ص1948.

[5]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الأول

الصناعة اللّفظية عند ابن الأثير

يرى ابن الأثير أنّ الكتابة الفنّية عبارة عن صناعة وهي ككلّ الصناعات لا تكون سليقة ولكن يتم تعلّمها وأخذها عن العلماء، ولأنّها مكتسبة فقد اشترط ابن الأثير لتعلّم هذه الصناعة والتفقّه بها الاهتمام بصناعة الكتابة بجزأيها اللّفظي والمعنوي.

يقسم ابن الأثير الصناعة اللّفظية إلى قسمين: أولهما في اللّفظة المفردة، وثانيهما في اللّفظة المركبة.

أما الصناعة المعنوية: فتناول فيها كلّ ما يتعلّق بالجانب المعنوي في الكتابة من استعارة وتشبيه ومحسنّات بديعية وإيجاز وإطناب[1].

أ- في الصناعة اللّفظية:

تطرّق ابن الأثير في هذه المقالة إلى الألفاظ في ذاتها وبمعزل عن الجانب المعنوي، وقد قسّم الكاتب هذه المقالة إلى قسمين حيث تناول في القسم الأول اللّفظة المفردة في حين تطرّق في القسم الثاني إلى اللّفظة المرّكبة.

القسم الأول: اللّفظة المفردة

حدّد ابن الأثير ثلاثة شروط لابدّ للكاتب والشاعر على السواء من العناية بها وبدونها لا يستقيم الكلام وهي على الشكل التالي:

1- اختيار الألفاظ المفردة:

مثّل لها ابن الأثير باللآلئ المبعثرة فقال: "وحكم ذلك حكم اللآلئ المبعثرة، فإنّها تتخيّر وتُنتقى قبل النظم"[2].

---

[1]- ابن الأثير ، المثل السائر،ج1 ، ص 163 .

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الألفاظ المفردة حسب ابن الأثير عبارة عن لآلئ مبعثرة ودور الكاتب هو جمع هذه الألفاظ وتخيّرها ورصفها لتتحدّد قيمتها على غِرار اللآلئ التي لا يتضّح جمالها ولا يبرز إلّا بنظمها وحسن رصفها لتشكلّ جوهرة مميزة.

هذا ولاختيار اللّفظة المناسبة شروط ومستويات لابدّ من احترامها والسير وفقها، وهو ما يشير إليه محمد عبد المطلّب في كتابه " جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم " حيث قال: " وكلّ ذلك يتجاوز مجرّد كون اللّفظة وِحدة لغوية إلى كونها أداة فنّية لها خواصها في النثر، وهذه الخواص تأتي من عملية الاختيار التي يُوقعها المبدع على مخزونه المعجمي لينتقي منه "[1].

فالباحث هنا يشير إلى عنصر مهم في اختيار لفظة دون غيرها وهو المستوى الفنّي فالخاصية الفنّية هي التي تحدّد ما إذا كانت اللّفظة مناسبة للاستعمال أم لا، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الخواص الفنّية تختلف في الشعر عن النثر فما يناسب البيت من الشعر غير ما يناسب النّص الأدبي.

قد يصادف أن يكون للمعنى الواحد لفظتان تعبران عنه أو أكثر وكلّها حسنة الاستعمال، ولكن لا يمكن استعمال لفظة محلّ أخرى وهو مالا يدركه إلّا من تبحّر في الكتابة وخاض غِمارها وجليل النظر[2].

دعم ابن الأثير ما ذهب إليه في حديثه عن المعنى الذي يحتمل لفظين و أكثر من القرآن الكريم، حيث استحضر آيتين كريمتين وأرفقهما بتوضيح للاختلاف الموجود بين الألفاظ المفردة ذات المعنى الواحد فقال:

---

[1]– محمد عبد المطلّب: جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم ، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1– لونجمان ، القاهرة ، 1995 ، ص 84 .

[2]– يُنظر ابن الأثير: المثل السائر، القسم 1، ص 164 .

" قال اللّه تعالى: {ما جعل اللّه لرجل من قلبين في جوفه } وقوله تعالى: { رب إنّي نذرت ما في قلبي محرّرا }، فاستعمل " الجوف " في الأولى و "البطن في الثانية ولم يستعمل لفظة "الجوف" محلّ "البطن" ولا "البطن" محلّ "الجوف" واللّفظتان سواء في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عدد واحد و وزنهما واحد فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل"[1].

2- نظم كلّ كلمة مع أختها المشاكلة لها:

حدّد ابن الأثير هذه الشرط لإحداث تناسق بين الكلمات ودرئ أيّ تنافر محتمل بينها، وهو ما يؤكده من خلال قوله: "لئلا يجيء الكلام قلقا نافرا عن موضعه وحكم ذلك حكم العِقد المنظوم في اقتران كلّ لؤلؤة بأختها المشاكلة لها"[2].

شبّه ابن الأثير الألفاظ فعقد اللُؤلؤ لا يتشكلّ إلّا باقتران كلّ لؤلؤة بأختها، و لتشكيل كلام قيّم بقيمة العقد المنظوم من اللؤلؤ لا بد من اقتران كل كلمةٍ بأختها.

أورد ابن الأثير عدّة أمثلة عن نظم كلّ كلمة مع أختها المشاكلة لها، نذكر منها: استشهاده بلفظة " تؤذي" الواردة في قوله تعالى: {ولا مستأنسين لحديث إنّ ذلكم كان يؤذي النّبيّ فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق }[3]. فلفظة " تؤذي" في الآية الكريمة جاءت مندرجة مع الكلام الذي أتى بعدها، متعلّقة به وخادمة له وهذا على نقيض قول المتنّبي:

تلّذ له المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يلّذ له الغرام

فهذه اللّفظة جاءت متقطعة في بيت المتنّبي وجاء عجز البيت استئنافا لصدره، كما استشهد ابن الأثير باللّفظة ذاتها والتي وردت في الحديث النبوي الشرّيف مضاف إليها كاف الخطاب التي أزالت عنها ما عليها من ضعف وركاكة، وذلك حينما اشتكى الرّسول صلّى الله عليه

[1]- ابن الأثير: المثل السائر، ص 164.

[2]- المصدر نفسه، ص 163.

[3]- سورة الأحزاب ، الآية 53 .

وسلّم فجاءه جبريل عليه السلّام ورقّاه فقال:" باسم الله أرقيك من كلّ داء يؤذيك "[1]. فالكاف في هذا المقام أكملت الكلام وربطت لفظة " يؤذيك " بما سبقها من كلام.

3- الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه

ومعنى هذا ما أراد الكاتب أو الشاعر قوله من خلال كلامه فالأغراض تتعدّد والمقاصد تختلف تماما كما تختلف مواضع وضع العقد المنظوم، وفي ذلك يقول ابن الأثير: "وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يُجعل إكليلا على الرأس، وتارة يُجعل قلادة على العنق، وتارة يُجعل شنقا في الأذن، ولكلّ موضع من هذه المواضع هيئة من الحُسن تخصّه"[2].

فمن خلال هذا القول يتضّح لنا أنّ قيمة الألفاظ والجمل المنظومة تختلف باختلاف مواضع استعمالها وهو ما يُعرف بمقتضى الحال، أو "لكلّ مقام مقال "، فخطاب العامة غير خطاب الملوك وخطاب العلماء غير خطاب الجهلة.

يرى ابن الأثير أنّ الغرض المقصود أو ما يُعرف بمقتضى الحال من الأمور المستعصية تحقيقها بالنسبة لمن لم يصل لمستوى رفيع من العلم، وفي هذا يقول: "وهذا الموضع يضلّ في سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام من النّظم والنثر،فكيف الجهال الذين لم تنفحهم رائحة ومن الذي يؤتيه الله فطرة ناصعة، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، حتى ينظر إلى أسرار ما يستعمله من الألفاظ ، فيضعها في مواضعها"[3].

رفض ابن الأثير ربط قبح الألفاظ وحسنها بمدى استخدامها بين العرب واعتبرها حجة الجاهل، فالقُبح والحُسن شيئان لا مجال للتقلّيد فيه إذ أنّ فيه خصائص وعلامات يُعرف بها

---

[1]-يُنظر ابن الأثير: المثل السائر،القسم1 ، ص 167 .

[2]- المصدر نفسه، ص 163 .

[3]- المصدر نفسه، ص 164.

الحسن من القبيح، وهي الخصائص التي تحدّث عنها في باب الفصاحة والبلاغة، وفي هذا الموضع أورد ابن الأثير مثالا بلفظة " مُزنة " المُستحسنة بين الناس، ولفظة "البُعاق" التي لم يشفع لها لدى البلاغيين استخدامها بين العرب لتخرج من دائرة القُبح إلى الحُسن فقال: "ألا ترى أنّ المُزنة مثلا حسنة عند النّاس كافة من العرب وغيرهم، وهلّم جرّا، لا يختلف أحد في حسنها، وكذا لفظة البعاق فإنّها قبيحة عند النّاس كافة من العرب وغيرهم، فإذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم إيّاها مُخرجا إيّاها من القُبح، ولا يُلتفت إذن إلى استعمالهم إيّاها بل يُعاب مستعملها، ويغلظ له النّكير حيث استعملها"[1].

أشار ابن الأثير إلى ما ذكره ابن سنان الخفاجي فيما يتعلّق باللّفظة الواحدة من الأوصاف فقال: " وقسّمها إلى عدّة أقسام كتباعد مخارج الحروف، وأن تكون الكلمة جارية على العرف العربي غير شاذّة، وأن تكون مصغرةً في موضع يعبر به عن شيء لطيف أو خفيّ أو ما جرى مجراه وأن لا تكون مبتذلةً بين العامة ، وغير ذلك من الأوصاف"[2].

وفيما يتعلّق بمخارج الحروف، يُعاب على اللّفظة التقارب الشدّيد بين مخارج حروفها وكذا التباعد الشدّيد ممّا يُحدث تنافرا فيما بينها، غير أنّ ابن الأثير يرفض هذا الحُكم، إذ يرى أنّه لو تمّ العمل بمخارج الحروف لوصف الكلمة المفردة لاستحال على الشاعر نظم بيت من الشعر، واستحال على الكاتب إنشاء كتاب إلّا بعد مدّة طويلة من القياس والدراسة، فابن الأثير –وعلى خلاف ابن سنان الخفاجي– يرى أنّ حاسة السمع هي الحَكم في حسن الألفاظ وقبحها[3].

أمّا جريانها على العرف العربي وبراءتها من الشذوذ فقد استغرب ابن الأثير ربط ابن سنان الخفاجي لحسن الكلمة أو قبحها بجريانها على العرف العربي وفي ذلك قال: " وأما ما

---

[1]– ابن الأثير: المثل السائر،القسم1، ص 172.

[2]– المصدر نفسه، ص 172.

[3]– يُنظر المصدر نفسه، ص 173.

ذكره ابن سنان من جريان اللّفظة على العرف العربيّ فليس ذلك ممّا يوجب لها حسنًا، ولا قبحًا، وإنّما يقدح في معرفة مستعملها بما ينقله من الألفاظ، فكيف بعد ذلك من جملة الأوصاف الحسنة؟"[1]، فليس كلّ ما استعملته العرب حسنا بالضرورة ولا ما تركته قبيحا. وأما تصغير اللّفظة فيما يعبّر به عن شيء لطيف أو خفيّ أو ما جرى مجراه فالمقصود أن لا يكون التصغير يحمل تحقيرا أو ما يعيب اللّفظة.

وفي حديثه عن ما أورده الخفاجي في شرط أن لا تكون اللّفظة مبتذلة بين العامة أي أن لا تكون كثيرة التداول بين النّاس، وقد قسّم ابن الأثير المبتذل من الألفاظ إلى قسمين:[2] القسم الأول: ما كان من الألفاظ دالّا على معنى وضع له في أصل اللّغة فغيّرته العامة وجعلته دالّا على معنى آخر وهو ضربان:

الضرب الأول: ما يُكره ذكره كقول المتنّبي:

أذاق الغواني حسنه ما أذاقني وعفّ فجازاهنّ عنّي بالصّرم

فالصّرم في اللّغة العربية هو القطع، ولكنّ العامة غيّرتها وجعلتها تدلّ على المحلّ المخصوص من الحيوان و أبدلوا السين صادًا، ومن أجل ذلك استكره استخدامها[3].

الضرب الثاني : ما وُضع في أصل اللّغة لمعنى فجعلته العامة دالّا على غيره، إلّا أنّه ليس بمستقبح ولا مستكره[4].

[1]– ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،القسم1 ، ص 175.

[2]– المصدر نفسه، ص 196.

[3]– يُنظر: المصدر نفسه، ص 197.

[4]– المصدر نفسه ، ص 197.

واستشهد ابن الأثير بلفظة " ظريف " التي تعني في الأصل دمث الأخلاق وحَسن الصورة واللّباس، بينما الأصل في اللّغة العربية أنّ الظَّرف مختص بالنطق، وفي هذا الضرب ابتعد الشعراء والأدباء على غرار العامة عن المعنى الأصلي للكثير من الألفاظ ومنهم أبو تمام في قوله:

وحلاوة الشّم التي لو مازجت خلق الزّمان القدم عاد ظريفا

فأبو تمام أخطأ في نسبة الظّرف إلى الزّمان في حين أنّه من صفات النّطق غير أنّ هذا الخطأ ليس مستقبحا[1].

القسم الثاني : ممّا ابتذلته العامة، وهو الذي لم تغيّره عن وضعه:

وإنّما أُنكر استعماله لأنّه مبتذل بينهم لا لأنّه مستقبح ولا لأنّه مخالف لما وضع له[2].

فالمبتذل هنا إنّما رُفض فقط لأنّه كثير التداول بين العوام، غير أنّ ابن الأثير تحفّظ عن هذا القسم وحجّته في ذلك أنّ الكثير من الألفاظ المتداولة بين العامة فصيحة وردت في القرآن الكريم وجاءت في كثير من كلام الفصحاء، وقد رجّح ابن الأثير أن يكون المبتذل المقصود في هذا القسم إنّما هو الألفاظ السخيفة سواء تداولتها العامة أو الخاصّة[3].

مثل هذه الألفاظ حسب ابن الأثير تحطّ من قدر الكلام وإن كان المعنى شريفا، وحسب ابن الأثير أيضا فإنّ هذه الألفاظ المبتذلة لا يكاد يخلوا منه شعر شاعر إنّما الفرق يكمن في الكمّ إذ منهم المقلّ ومنهم المُكثر، واستشهد ابن الأثير بقول أبي نواس:

---

[1]– يُنظر ابن الأثير، المثل السائر،القسم1، ص 198.

[2]– المصدر نفسه، ص 198 .

[3]– يُنظر المصدر نفسه، ص 199 .

ومُلِحَّة بالعدل تحسب أنّني بالجهل أترك صحبة الشطّار[1]

فلفظة الشطّار من الألفاظ المبتذلة جدّا حدّ السأم منها.

هذا بالإضافة إلى صفات أخرى لم يذكرها الخفاجي ومنها:

الوحشيّ: يؤكد ابن الأثير على حدوث خلط بين الوحشيّ من اللّفظ والمُستقبح لدى صنّاع النّظم والنثر، في أنّ المصطلحين مختلفين فالوحشيّ حسبه ينقسم إلى قسمين أحدهما غريب حسن والآخر غريب قبيح، وإنّما سميّ بالوحشيّ نسبة إلى الوحش الذي يعيش في القفار ولا يُستأنس به على غرار الألفاظ الغير مأنوسة[2].

فالوحشيّ من اللّفظ ليس المستقبح بالضرورة ولكنّه القليل الاستعمال والتداول والذي تركه الخطباء والشعراء لوجود الأفضل منه والأكثر شيوعا، وفي هذا الموضوع يقول محمد عبد المطلّب: " فالوحشيّ من اللّفظ هو الغريب الذي يقلّ استعماله في زمن معيّن"[3].

ومنه فالوحشيّ هو المهمل الاستعمال حسنًا كان أو قبيحًا.

عدد حروف الكلمة: عاب علماء اللّغة على الأدباء والشعراء استخدامهم للكلمات الطويلة واعتبروا أنّ أفضل الكلمات هي ما تألفت من أقلّ الأوزان تركيبا، وقد مثّل لها ابن سنان الخفاجي في كتابه بقول المتنّبي:

إنّ الكِرام بلا كرامٍ منهم مثل القلوب بلا سُوَيْداواتِها

وقال إنّ لفظة " سُوَيْداواتِها " طويلة وهو ما قبّحها[4].

---

[1]– ابن الأثير: المثل السائر،القسم1 ، ص 201.

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص 175.

[3]– محمد عبد المطلّب: جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، ص 105.

[4]– يُنظر: المصدر نفسه، ص 204.

رفض ابن الأثير ما ذهب إليه الخفاجي عن أنّ كثرة الحروف تقبّح الكلمة وذكر أنّ العيب يكمن في الكلمة الموصوفة بالقُبح في حدّ ذاتها وليس في طولها، وقد استدلّ صاحب المثل السائر لتأكيد صحة حُكمه بما ورد في القرآن الكريم من كلمات طويلة ومع ذلك وُصِفت بالحُسن ومنها : قوله عزّ وجلّ :{ فسيكفينكهم الله }، وكذا قوله تعالى: { ليستخلفنّهم في الأرض } فالكلمة الأولى تتركب من تسعة أحرف والكلمة الثانية تتركب من عشرة أحرف ورغم ذلك فهي كلمات حسنة مستحبة[1].

إذا ما قارننا بين ما قاله المتنّبي وبين كلمات القرآن الكريم نجد أنّ كلمات القرآن الكريم أطول من الكلمة التي استخدمها المتنّبي ورغم ذلك قبُحت كلمته وحسُنت كلمات القرآن الكريم، ومنه نستنتج أنّ طول الكلمات ليس عيبًا في حدّ ذاته، ولكنّ العيب في الكلمة لذاتها وليس في طولها.

خفة الحركات: من مواصفات الألفاظ الحسنة أن تكون مبنيّة من حركات خفيفة ليخفّ النطق بها، فيُعاب توالي الحركات الثقيلة كتوالي ضمّتين أو كسرتين و التي تتسبب في ثِقل الكلمة في حين أن توالي الحركات الخفيفة كالفتحتين لا يُثقِل الكلمة، ولهذا السبب اِسْتُثقلت الضمة على الواو واستثقلت الكسرة على الياء لأنّ كلًّا من الواو والياء من جنس الضمة والكسرة فهما بمثابة حركتين ثقيلتين متواليتين، ولتوضيح هذه الفِكرة استشهد ابن الأثير بلفظة " ج . ز. ع " فإذا جعلنا له حركتين خفيفتين متتاليتين لتصير " الجَزَع " كانت اللّفظة خفيفة حسنة، وكذلك لو جعلنا الجيم مفتوحة فصارت " الجِزع " لم تكّن الكسرة ولا توالي الفتحتين لتعيب اللّفظة في شيء، في حين أنّنا لو والينا حركتَيْ الضم بحيث تصير اللّفظة " الجُزُع " كانت اللّفظة ثقيلة وأقلّ حُسنًا من " الجَزَع " و "الجِزْع "، وكما نرى فإنّ

[1]– يُنظر ابن الأثير: المثل السائر، القسم1،ص204.

اختلاف حركات اللّفظة لم يُغيّر من مخارج حروفها فكانت اللّفظة تتأرجح بين الحُسن والقُبح بتغيّر حركاتها[1].

أشار ابن الأثير لبعض الحالات الشاذّة التي توالت فيها الحركات الثقيلة ورغم ذلك لم تكن مستكرهة ولم تُحدث ثِقلًا ولا قُبحًا واستدلّ في ذلك بقوله تعالى: { و لقد أنْذَرهُم بَطشَتنا فتماروا بالنُّذُر }، وكذا قوله عزّ وجلّ : {إنّ المجرمين في ظلال وسُعُر } فرغم توالي حركتي الضم في الآيتين السابقتين في لفظتيْ " نُذُر و سُعر" إلّا أنّ هذا لم يُحدث أيّ ثِقل في الكلمات ولا كراهة، وكذلك قول أبي تمام:

نفسٌ يحتثُّه نفسُ و دُموعٌ ليس تُحتبس

ومغانٍ للكرى دُثُرٌ عُطُلُ من عهده دُرُسٌ

فكما نرى ورغم توالي ثلاث حركات ضمّ في كلٍّ من " دُمُوعٌ "، " عُطُلٌ " و دُرُسٌ " إلّا أنّ هذا لم يُؤثر في حُسنها ولم يتسبّب في ثِقلها[2].

القسم الثاني : اللّفظة المركبة

تحدّثنا في القِسم الأول من الصناعة المعنوية عن اللّفظة المفردة وشروطها وأوصافها وكلّ ما يتعلّق بها، غير أنّها إذا صارت مركبة فإنّ شروطها وأحكامها تتغيّر نتيجة تفاعلها فيما بينها وهو ما تطرّق له ابن الأثير في هذا القسم.

يرى ابن الأثير أنّ حُسن الألفاظ وشرفها يتحدّد بحسن تركيبها وتأليفها، فالألفاظ لديه كاللآلئ قد يأخذ الصانع لآلئ ذات قيمة متدنية ولكن بحسن رصفها وصناعته المُتقنة يهيأ للناظر أنّها ذات قيمة كبيرة وأنّها ليست نفس اللآلئ المبدّدة، وفي المقابل قد يأخذ لآلئ ذات قيمة

[1]- يُنظر ابن الأثير: المثل السائر، ص 207.

[2]- يُنظر المصدر نفسه، ص 208/207 .

كبيرة ولكن ونتيجة لسوء صناعته وفساد تأليفه يحطّ من قيمتها وهو ما ينطبق على الألفاظ في حالة سوء التأليف، فقد يستخدم الكاتب ألفاظا بسيطة ولكن نتيجة لحُسن تأليفه وربطه بينها يُهيأ لنا أنّها قوية، في حين قد يأتي الكاتب بألفاظ قوية ورصينة ونتيجة لسوء تركيبه لنا تظهر لنا أنّها دون المستوى الذي كانت عليه في حالة الإفراد، ولهذا دعا ابن الأثير إلى العناية بالتأليف وتحرّي الإتقان والشرف في الصناعة[1].

حصر ابن الأثير صناعة تأليف الألفاظ في ثمانية أنواع لخّصها في السجع والذي يختصّ في الكلام المنثور و التصرّيع والذي يختصّ بالكلام المنظوم، وهو لا يختلف عن السجع سوى في أنّ السجع يكون في الكلام المنثور بينما يسمى في الشعر تصرّيعا، بالإضافة للتجنيس والذي يشمل النثر والشعر معا، والتُرصيع والذي يشمل القسمين كذلك ولزوم مالا يلزم ويعمّ القسمين أيضا ، والموازنة وتختصّ بالكلام المنثور واختلاف صيّغ الألفاظ وتكرير الحروف واللّذين يشملان جميع الأقسام[2]، وفيما يلي عرض مفصّل لهذه الأنواع.

أولًا–في السجع

عرّفه ابن الأثير على أنّه تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد[3]، أي أن تُختم الجمل بحرف واحد مما يصنع إيقاعا صوتيا مميز.

انتقد ابن الأثير ذمّ بعض أرباب الصناعة للسجع ورأى أنّ ذمّهم له ناتج عن عجزهم عن الإتيان بمثله، مؤكدّا أنّ وروده في القرآن الكريم أكبر دليل على شرفه ولو كان مذموما كما يدّعي أصحاب الصناعة لكان القرآن الكريم أحقّ بتجنب المذموم من كلام البشر، فالمتمعّن في السور القرآنية يجد أنّ معظمها . إن لم أقل الكلّ . أتت مسجوعة على غِرار

[1]– يُنظر ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 209 .

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص 209.

[3]– المصدر نفسه، 210

سورة الرحمن والقمر والعاديات...من السور القرآنية المسجوعة، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب:{ إنّ الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيرا * خالدين فيها أبدا لا يجدون وليّا ولا نصيرا }[1].

وكذلك قوله في سورة (ق): { بل كذّبوا بالحقّ لمّا جاءهم فهم في أمرٍ مريج * أفلم ينظروا إلى السّماء فوقهم كيف بنيناها وزيّنّاها ومالها من فُروج * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كلّ زوجٍ بهيج }[2].

ومن صور السجع في السنّة النبوية قوله صلّى الله عليه وسلّم: (أيّها النّاس أفشوا السّلام، وأطعموا الطّعام، وصلّوا بالليل والنّاس نِيام، تدخلوا الجنة بسلام) فهذا الحديث الشرّيف يحوي في متنه الكثير من السجع وهو ما يناقض ما أوردته الجماعة التي حاولت الحطّ من قيمة السجع مستشهدين بحديث قيل فيه: أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم قال لبعضهم منكرًا عليه وقد كلّمه بكلامٍ مسجوع:" أسجعًا كسجع الكهّان؟ " وهي الحجة التي دحضها ابن الأثير بقوله : لو كره النبيّ صلّى الله عليه وسلّم السّجع مطلقا لقال: أسجعا؟ ثم سكت، فهذا الكلام يحمل إنكارا لما سبقه، أمّا قوله: " أسجعًا كسجع الكهّان؟" صار المعنى معلقا على أمر وهو إنكار الفعل في حالة ما إذا كان على هذا الوجه، فحسب ابن الأثير فإنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم رفض السجع الذي هو مثل سجع الكهّان لا غير ولم يرفض السجع ككل[3].

إنّ ورود السجع في القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف وهو ما ينفي إدعاءات أرباب الصناعة وذمهم السجع.

---

[1]- الأحزاب، 64-65.

[2]- ق، 5-7.

[3]- يُنظر ابن الأثير، القسم1 ، ص 211 .

يرى ابن الأثير أنّ السّجع ليس من الأمور اليسيرة تحقيقها وليست مجرّد تواطؤ للفواصل و إلّا لكان الجميع سجّاعا، ولكن السّجع له شروط وضوابط يجب الالتزام بها فقال في هذا الصدد: " ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حارّة طنّانةً رنّانةً لا غثّةً ولا باردة".[1] وقد شرح ابن الأثير قصده من قوله (لا غثّة ولا باردة) وهي أن يتحرّى القائل أو السجع في قوله وكتاباته دون اهتمام بالمفردات المسجوعة ولا تركيبها، وهو المقام الذي قال عنه ابن الأثير أنّه صعب لا أحد يصله إلّا أرباب فنّ الكتابة القليلين قلّة مردّها صعوبة هذه الصناعة[2].

أما الشرط الثاني الذي حدّده ابن الأثير للكلام المسجوع فهو أن يكون اللّفظ فيه تابعا للمعنى لا أن يكون المعنى فيه تابعا للّفظ وإلّا جاء الكلام كما قال عنه ابن الأثير كغمد من ذهب على نصل خشب[3].

ومعنى ذلك أن نتخيّر اللّفظ المناسب للمعنى المقصود لا أن يكون همنا الوحيد السجع لدرجة أن نربط المعنى بلفظ غير مناسب للسياق لمجرّد مناسبته للفواصل.

كما أشار ابن الأثير إلى شرط ادّعى أنّ لا أحد سبقه إليه من قبل وهو أن تكون كلّ واحدة من السّجعتين المزدوجتين مشتملةً على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها، فإن جاء المعنى هو نفسه في الجملتين فهو التطويل بعينه وفي هذه الحالة فإنّ لفظة واحدة كافية للدّلالة على المعنى المراد إيراده[4].

قسّم ابن الأثير السّجع إلى ثلاثة أقسام متمثّلة فيما يلي:

---

[1]– ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 213.

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص 213.

[3]– يُنظر المصدر نفسه، ص 213.

[4]– يُنظر المصدر نفسه، ص 214.

– أن يكون الفصلان متساويين ولا يزيد أحدهما على الآخر كقوله تعالى في سورة الضحى: { أمّا اليتيم فلا تقهر* وأمّا السائل فلا تنهر }، وكذلك قوله تعالى في سورة العاديات: {والعاديات ضبحًا * فالموريات قدحًا * فالمغيرات صبحًا }، وهذا القسم هو أكثر الأقسام اعتدالا و أشرف السّجع منزلة[1].

في هذه السور تتفق الفصول دون زيادة ولا نقصان لواحدة على أخرى، ففي السورة الأولى أربعة ألفاظ لكلّ فصل وفي السورة الثانية لفظتين في كلّ فصل مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه.

– أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول، لا طولا يخرج به عن الاعتدال كثيرا فإنّه يقبح عند ذلك، ويُستكره ويُعدّ عيبا، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الفرقان: { بل كذبّوا بالسّاعة واعتدنا لمن كذّب بالسّاعة سعيرًا *إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيّظًا وزفيرًا}، وكذلك قوله تعالى في سورة مريم : { وقالوا اتّخذ الرحمن ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السّماوات يتفطرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّا}[2].

فكما نلاحظ فإنّ الفصول غير متساوية حيث جاء الفصل الأول من سورة الفرقان في ثمانية ألفاظ بينما جاء الفصل الثاني في تسعة ألفاظ، وكذلك الأمر في سورة مريم حيث جاء الفصل الأول والثاني في أربعة ألفاظ بينما جاء الفصل الثالث في تسعة ألفاظ مع اتفاق الفواصل على حرف واحد.

[1]– ابن الأثير، المثل السائر، القسم1، ص 255.

[2]–المصدر نفسه، 256.

– أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول وهو ما عدّه ابن الأثير عيبًا فاحشًا والسبب وراء ذلك أن السّجع يكون قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله، ثمّ يجيء الفصل قصيرًا عن الأول فيكون كالشيء المبتور.[1]

يرى ابن الأثير أنّ السجع وعلى اختلاف أقسامه ضربان هما :

السّجع القصير: وهو أن تكون كلّ واحدة من السّجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة وكلّما قلّت الألفاظ كان أحسن[2]، ومرّد حُسنها تقارب الفواصل المسجوعة لسمع السامع وحسب رأي ابن الأثير فإنّ أحسن السّجع القصير ما كان من لفظتين في كلّ فصل، ومثال ذلك قوله تعالى في سورة المدثِّر:{ يا أيّها المدثّر * قم فأنذر * وربّك فكبّر * وثيابك فطهّر * والرُّجز فاهجر }، وقد يأتي السّجع القصير مؤلفًا من ثلاثة ألفاظ أو أربعة أو خمسة ألفاظ وهناك حالات تصل فيها عدد الألفاظ إلى عشرة ألفاظ في كلّ فصل فما زاد على ذلك فهو سجع طويل، ومن أمثلة السّجع القصير في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة النّجم : { والنّجم إذا هوى * ما ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى }، وهذا الضرب يعتبره ابن الأثير من أوعر ضروب السّجع وهو ما أدى غلى قلّة استخدامه[3].

السّجع الطويل: وهو ضدّ الأول لأنّه أسهل متناولا[4]، وتعود صعوبة الإتيان بالسّجع القصير دون الطويل إلى أن المعنى إذا صيغ بألفاظ قصيرة فمن الصعب الإتيان بالسجع الملائم لجميع الألفاظ، بينما في حالة الألفاظ الطويلة فمن السهل إيجاد الألفاظ الملائمة لما سبقها. قد يأتي السّجع القصير في إحدى عشر لفظة أو اثني عشر لفظة أو خمسة عشر لفظة

[1]– يُنظر ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 257.

[2]– المصدر نفسه، ص 257.

[3]– يُنظر المصدر نفسه، ص 257.

[4]– المصدر نفسه، ص257.

على الأكثر، وفي هذه الحالة يُسمى بالسجع القريب من السّجع القصير ومن ذلك قوله عزّ وجلّ في سورة التوبة:

{ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنِتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم * فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلّا هو عليه توكّلت وهو رب العرش العظيم }، وهناك حالات يأتي فيها السّجع في عشرين لفظة أو أكثر بحيث تصبح العدّة غير مضبوطة ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأنفال: { إذ يريكهم الله في منامك قليلًا ولو أراكهم كثيرًا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكنّ الله سلّم إنّه عليم بذات الصدّور * وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلًا ويُقلّلكم في أعينهم ليقضي الله أمرًا كان مفعولا وإلى الله تُرجع الأمور }[1].

هذا فيما يخصّ الكلام المنثور، أمّا في الشعر فإنّ توافق الفواصل يُسمى تصرّيعًا وهو توافق فواصل آخر كلمة من صدر البيت مع آخر كلمة من عجز البيت، ويرى ابن الأثير أنّ للتّصريع فائدة كبيرة فمن خلاله يمكن التعرّف على قافية القصيدة دون حتّى إكمال قراءة البيت الشعري،هذا وقد شبّه ابن الأثير البيت المصرّع بباب له مصراعان متشاكلان يعكسان قدرة المؤلف وتمكنه من فنّ الكتابة[2].

رغم تأكيد ابن الأثير على أنّ التّصريع دليل على قدرة المؤلف إلّا أنّه اعتبر المبالغة فيه عيب وتكلّفٌ،

هذا وقد قسّم ابن الأثير التصرّيع إلى سبع مراتب[3] وهي :

[1]– يُنظر ابن الأثير: المثل السائر، القسم1، ص 258 .

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص 259 .

[3]– يُنظر المصدر نفسه، ص 259.

1- أن يكون كلّ مصراع من البيت مستقلًا بنفسه في فهم معناه ويسمى "التّصريع الكامل"[1]، أي أن يكون معنى كلّ شطر مفهوم وواضح دون العودة أو ربطه بالشطر الآخر ومثال ذلك قول امرئ القيس في معلقته:

أفاطم مهلًا بعض هذا التدلّل وإن كنت قد أزمعت هجرًا فأجملي[2]

فكما نلاحظ في بيت امرئ القيس فإنّ صدر البيت مستقل في معناه ومستغنٍ عن عجز البيت

لإتمام، وكذلك قول المتنبي:

إن كان مدح فالنسيب المقدّم أكلّ فصيحٍ قال شعرًا متيّمُ[3]

2- أن يكون المصراع الأول مستقلًا بنفسه، غير محتاج إلى الذي يليه فإذا جاء الذي يليه كان مرتبطا به [4]، أي أن يكون عجز البيت متعلّقا بصدره رغم تمام معنى صدر البيت دون العجز ومن ذلك قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقطِ اللّوَى بين الدخول فحَومَلِ[5]

وكذا قول المتنبي:

الرّأي قبل شجاعة الشّجعانِ هو أوّلٌ وهي المحل الثّاني[6]

---

[1]- يُنظر ابن الأثير، المثل السائر، القسم1، ص نفسها.

[2]- المصدر نفسه، ص نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص نفسها.

[4]- المصدر نفسه، ص نفسها.

[5]- المصدر نفسه، ص نفسها.

[6]- المصدر نفسه، ص 260 .

فصدر كلّ بيت من الأبيات السّابقة مستقل في معناه دون العودة إلى عجز البيت ورغم ذلك فإنّ عجزها جاء مرتبطًا بصدرها متعلّقًا به ولا معنى له بدون.

3- أن يكون الشاعر مُخيّرا في وضع كلّ مصراعٍ موضع صاحبه، ويسمّى " التّصريع الموجّه "[1]، أي أن يكون في مقدور الشاعر تبديل اللّفظة المصرعة من صدر البيت باللّفظة المصرعة من عجزه دون إحداث خلل في التركيب ولا المعني كقول ابن الحجّاج البغدادي:

من شروط الصّبوح في المهرجان خِفّة الشَّربِ معْ خُلُوِّ المكان[2]

ففي هذا البيت بإمكاننا استبدال لفظة " المهرجان " بلفظة " المكان " دون أن نغيّر المعنى بحيث يصير البيت:

من شروط الصّبوح في المكان خِفّة الشَّربِ معْ خُلُوِّ المهرجان

4- أن يكون المصراع الأول غير مستقلّ بنفسه ولا يُفهم معناه إلّا بالثاني، ويسمّى "التّصريع النّاقص" وليس بمرضيٍّ ولا حسن[3]، ففي هذه المرتبة يكون صدر البيت ناقصا وغامض وفي حاجة لعجز البيت لتوضيح معناه ومن ذلك قول جميل بن معمّر العذري:

قومي بثينة فاندبي بعويل وابك خليلك دون كلّ خليل[4]

ففي الأبيات السابقة الذّكر فالشطر الأول في حاجة للشطر الثاني لإتمام معناه وبدونه يبقى الشطر الأول معلّقا وغامضًا.

5- أن يكون التّصريع في البيت بلفظة واحدة وسطًا وقافيةً، ويسمّى" التّصريع المكرّر" [1] أي أن تتكرّر لفظة واحدة في كلّ شطر ويأتي في قسمين:

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر، ق1، ص 260 .

[2]- المصدر نفسه، ص نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص نفسها.

[4]- شوقي ضيف: الحب العُذري عند العرب، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1419هـ 1999م،ص68.

الأول: أن يكون بلفظة حقيقية لا مجاز فيها وهو أنزل الدّرجتين كقول عبيد بن الأبرص:

فكلّ ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب[2]

ففي هذا البيت نلاحظ تكرّر لفظة " يؤوب " في كلا شطري البيت وبنفس المعنى لكليهما إذ أنّها تعني العودة في كلا الشطرين.

الثاني: أن يكون التّصريع بلفظةٍ مجازيّة يختلف المعنى فيها، كقول أبي تمام:

فتًى كان شربًا للعُفاة ومرتعى فأصبح للهنديّة البيض مِرتعا[3]

ففي هذه الحالة ورغم تكرّر الكلمة في كلا الشطرين إلّا أن المعنى مختلف، حيث أنّ اللّفظة الأولى " مرتعى " جاءت بمعنى موضع الرّي بينما اللّفظة الثانية " مِرتعا " وردت بمعنى المسرح[4].

6- أن يُذكر المِصراع الأول، ويكون معلّقا على صفة يأتي ذكرها في أوّل المصراع الثّاني ويُسمّى " التّصريع المعلّق"، ومنه ما ورد في قول امرئ القيس:

ألّا أيّها اللّيل الطويل ألا انجلِ بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ[5]

في هذه المرتبة من التّصريع يكون معنى صدر البيت متعلّقا بأول لفظة من عجز البيت وبدونها يكون ناقصًا وهو ما لاحظناه في بيت امرئ القيس.

7- أن يكون التّصريع في البيت مخالفا لقافيته، ويُسمّى "التّصريع المشطور" وهو أنزل درجات التّصريع وأقبحها، ومن ذلك قول ابن نواس :

---

[1]- ابن الأثير: المثل السائر، القسم 1، ص 261 .

[2]- المصدر نفسه، ص 261 .

[3]- المصدر نفسه، ص نفسها.

[4]- يُنظر المصدر نفسه، ص نفسها.

[5]- المصدر نفسه، ص261.

أقلني قد ندمتُ على ذنوبٍ وبالإقرارِ عدتُ من الجحودِ[1]

ثانيًا– في التجنيس:

هو أن يكون اللّفظ واحدا والمعنى مختلفا، وسميّ هذا الكلام مجانسًا لأنّ حروف ألفاظه يكون تركيبها من جِنسٍ واحد[2].

التجنيس هو أن ترد الألفاظ بنفس الحروف ونفس الترتيب مع اختلاف المعنى، لكن في بعض الحالات قد يتغيّر ترتيب الحروف أو وزن اللّفظة وهو ما دفع ابن الأثير إلى تقسيم التجنيس إلى سبعة أقسام متمثلة في:

1–التجنيس الحقيقي: هو أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها، كقوله تعالى{ ويوم تقوم السّاعةُ يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعةٍ }[3]، فرغم اتفاق اللّفظتين في الوزن والتركيب إلّا أن معناهما مختلف حيث تدّل اللفظة الأولى "السّاعة " على يوم القيامة في حين تدّل اللّفظة الثانية " ساعةٍ " على مقدار معيّن من الزمن.

2– ما يشبّه بالتجنيس : ويتضمّن ستة أقسام هي :

1.2– أن تكون الحروف متساوية في تركيبها، مختلفة في وزنها، فمّما جاء في قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (اللّهم كما حسّنت خَلْقي حسِّن خُلُقي)[4].

فكما نلاحظ فإنّ لفظة "الخَلْق " و" الخُلُق " متماثلتي التركيب ولكن مختلفة الوزن إذ أنّ

كليهما ثلاثيتان وتتكونان من نفس الحروف ولكن وزن "خَلْق" هو فَعْل بينما وزن " خُلُق"

---

[1]– ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 262 .

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص نفسها.

[3]– المصدر نفسه، ص 263 .

[4]– المصدر نفسه، ص 268.

هو فُعُل فاختلاف الحركات أدى إلى اختلاف الوزن.

2.2- أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير، وإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس، فمّما جاء منه قوله تعالى: { وجوه يومئذ نَاضِرة * إلى ربّها نَاظِرة }[1]، فاللّفظتين السّابقتين ورغم اتفاقهما في الوزن إلّا أنّ تركيبهما جاء مختلفًا في حرف واحد.

وممّا جاء منه في الشعر قول امرئ القيس في معلقته التي تبدأ بـ " قفا نبك ":

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبل مُدبر معًا كجلمود صَخرٍ حَطّه السَّيل من عَلِ[2]

فكما نلاحظ فإنّ لفظتي " مِكَرٍّ و مِفَرٍّ " جاءتا على وزن واحد مع اختلاف تركيبهما في حرف واحد.

3.2- أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن والتركيب بحرف واحد ، كقوله تعالى : { والتفّت السَّاقُ بالسَّاقِ * إلى ربّك يومئذ المَسَاقُ }[3].

فاللّفظتين المعنيتين بالتجنيس هما " السَّاق " و " المَسَاق " وكما نلاحظ فهما مختلفتان في الوزن والتركيب كذلك في حرف واحد.

4.2- يُسمّى المعكوس وهو ضربان: أحدهما عكس الألفاظ، والآخر عكس الحروف[4].

الضرب الأول: يتم فيه عكس الألفاظ بتقديم ما كان متأخرًا وتأخير ما كان متقدّما ومنه قول الأضبط بن قريع وهو شاعر من شعراء الجاهلية:

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر،القسم1 ، ص268.

[2]-أبي عمرو الشيباني، شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح عبد المجيد همّو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، بيروت، 1444هـ 2001م، ص161.

[3]- المصدر نفسه ، ص 269.

[4]- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 273.

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

ويقطع الثوب غير لابِسه ويلبس الثوب غير من قطعه[1]

ويرى ابن الأثير أنّ لهذا الضرب من التجنيس حلاوة ورونق كما أشار إلى أنّ قدامة ابن جعفر سماه " التبديل " وهي التسمية التي استحسنها ابن الأثير[2].

ورد هذا الضرب من التجنيس في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: { يُخرِج الحي من الميّت ويُخرِج الميّت من الحيّ }[3].

أمّا الضرب الثاني من التجنيس المعكوس فهو عكس الحروف ومنه قول الشاعر:

جاذبتها والريح تجذب عَقْرَبًا من فوق خد كقلب العَقْربِ

وطَفقتُ أَلثمُ ثغرها فتمنّعت وتحجّبت عنّي بقلب العَقْربِ[4]

فاللّفظة المعكوسة للعقرب هي البرقع وأراد بها أنّ الفتاة تحجّبت عنه بالبُرقع، ففي هذا الضرب وكما يُوضحه المثال السابق يتم فيها عكس الحروف بحيث نقرأ اللّفظة من النهاية إلى البداية.

5.2- يسمّى المجنّب وذلك لأنّه يجمع مؤلّف الكلام بين كلمتين إحداهما كالتّبع للأخرى والجنيبة لها، كقول بعضهم:

أبا العباس لا تحتسب بأنّي لشيء من حلى الأشعار عاري

فلي طبع كسَلسالٍ معينٍ زلالٌ من ذرا الأحجار جاري

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ق1، ص 274 .

[2]- يُنظر المصدر نفسه، ص 274.

[3]- المصدر نفسه، ص274.

[4]- المصدر نفسه ، ص 276 .

استخدم الشاعر لفظتين يُراد بها التجنيس في البيت الأول هما "الأشعر و عاري"، وفي البيت الثاني هما "الأحجار و جاري" وكما نلاحظ فإنّ الكلمتين لم تتفقا إلّا في جزء من الكلمتين وهو ما يناقض معنى التجنيس الذي هو اتفاق في اللّفظ واختلاف في المعنى، ما دفع ابن الأثير إلى إلحاق هذا القسم بلزوم مالا يلزم وهو تساوي الحروف التي قبل الفواصل المسجوعة[1].

6.2 – ما يُساوي وزنه تركيبه، غير أنّ حروفه تتقدّم وتتأخر، وذلك كقول أبي تمام:

بيض الصَّفائِحِ لا سود الصَّحائِفِ في متونهنّ جلاء الشّك والرِّيَبِ[2]

اشتمل هذا البيت على لفظتي " الصَّفائح و الصّحائف "والتي تتكون من الحروف نفسها غير أنّها تقدمت وتأخرّت في كلا اللّفظتين، ومعناهما كذلك مختلف فالصّفائح تعني السيوف بينما الصّحائف هي الكتب.

وممّا ورد منه في الحديث النبوي الشريف قوله صلّى الله عليه وسلّم :(يُقال لصاحب القرآن اقْرَأ وارْق ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدّنيا ، فإنّ منزلتك عند آخر آيةٍ تقرأ)، فلفظتا " اقرأ و ارق " من التجنيس المشار إليه في هذا القسم.[3]

ثالثا – في التّرصيع:

هو أن تكون كلّ لفظة من ألفاظ الفصل الأوّل مساوية لكلّ لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية، وهو مأخوذ من ترصيع العقد، وهو أن يكون أحد جانبي العقد مثل ما في الجانب الآخر[4].

---

[1] – يُنظر ابن الأثير، المثل السائر، القسم1، ص 277 .

[2]– المصدر نفسه، ص 277 .

[3]– المصدر نفسه، ص277.

[4]– المصدر نفسه، ص277.

وهنا لا يُشترط التركيب لكن الأهم هو توافق الوزن والقافية بغضّ النظر عن الحروف. يرى ابن الأثير أنّ في التّرصيع تكلّفًا كبيرًا وهو السبب وراء خلو القرآن الكريم من هذا النوع، وكذلك الأمر بالنسبة للشعر القديم الذي جاء خاليًا من الترصيع لتحرّيهم العُمق في الصناعة وتوخيهم التكلّف، وفي المقابل فقد ورد الترصيع في أشعار المحدثين وإن كان قليلا ومن ذلك قول أحدهم:

فمكارم أوليتَها متبّرعًا وجرائمٌ ألغيتَها متورّعًا [1]

المتأمل للبيت الشعري السابق يلاحظ تساوي كلّ ألفاظ الفصل الأول مع ألفاظ الفصل الثاني على الترتيب، حيث أنّ لفظة مكارم تقابلها جرائم و أوليتها تقابلها ألغيتها و متبّرعا تقابلها متورّعًا فالألفاظ السابقة الذّكر متساوية وزنًا وقافيةً.

رابعا – في لزوم مالا يلزم:هو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحدا وهو من الأمور الصّعبة تحقيقها وذلك لأنّ المؤلّف يلتزم بشيءٍ ثانوي، فالواجب هو السجع والذي هو توافق أجزاء الفواصل في الكلام المنثور في قوافيها وهذا فيه زيادة تتمثل في كون الحرف الذي قبل الفاصلة حرفًا واحدا[2].

فلزوم مالا يلزم هو تساوي جزء من لفظة مع لفظة أخرى فهو لا يقتصر على اتفاق أواخر الألفاظ على الحرف نفسه والذي يسمّى سجعًا، ويختلف كذلك عن التجنيس الذي هو اتفاق الألفاظ على نفس التركيب.

وقد أورد ابن الأثير مثالا يوضح فيه هذا النوع والذي يذم فيه الجبان فقال:

[1]– يُنظر ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ق1، ص 278 .

[2]– يُنظر: المصدر نفسه، ص 281 .

" إذا نزل به خطب ملَكَه الفَرَق، وإذا ضلّ في أمر لم يؤمن إلّا إذا أدرَكَه الغَرَق"[1].

اللّزوم ها هنا في الكاف والهاء في لفظتي "ملكه و أدركه"، كما نلحظ وجود اللّزوم بين لفظتي "الفَرَق" و"الغَرَق" حيث تتفقان في حرفي الراء والقاف.

ومن ذلك قول أبي نواس والذي وصفه ابن الأثير باللّطيف والسّهل:

كم من غلامٍ ذي تحاسينِ أفسده ناطِفُ ياسينِ[2]

ورد اللّزوم في هذا البيت في لفظتي " تحاسين" و " ياسين" في حروف السين والياء والنون.

ما يلحق باللّزوم:

عرّفه ابن الأثير فقال:"واعلم أنّه إذا صغِّرت الكلمة الأخيرة من الشعر أومن فواصل الكلام المنثور، فإنّ ذلك ملحق باللّزوم، ويكون التصغّير عِوضًا عن تساوي الحروف التي قبل رويّ الأبيات الشعرية، والحروف التي قبل الفاصلة من النثر"[3].

فالذي يُلحق باللّزوم هنا ليس التصغّير عامة لكن التصغّير الذي يقع في أواخر الكلام المنثور و الضرب والعروض في الشعر ليس إلّا.

ومن أمثلة ما يلحق باللّزوم قول بعضهم:

عزّ على ليلى بذي سُدَيْرِ سوء مبيتي ليلة الغُمَيْر

مقبِّضًا نفسي في طُمَيْر تنتهز الرِّعدة في ظُهَيْر

يهفو إليَّ الزّور من صُدَيْري ظمآن في ريحٍ وفي مُطَيْرِ

---

[1]– ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 281 .

[2]– المصدر نفسه، ص 288 .

[3]– المصدر نفسه، ص 289 .

حتّى بدت لي جبهة القُمَيْرِ لأربعِ خَلَوْنَ من شُهَيْرِ[1]

خامسًا- في الموازنة:

هي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن، وأن يكون صدر البيت الشعريّ وعجزه متساويي الألفاظ وزنا، وللكلام الموزون حسب ابن الأثير طلاوة ورونق مرّده الاعتدال الذي يكتسيه[2].

أشار ابن الأثير إلى أنّ كل سجع موازنة وليس كلّ موازنة سجعا، وذلك لأنّ السجع هو تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد مع وجود الاعتدال، في حين أنّ الموازنة هي اعتدال فقط فما يجمع بين النوعين هو الاعتدال دون المماثلة، ومنه فالسّجع أخصّ من الموازنة والموازنة أعم من السّجع[3].

تقوم الموازنة على مبدأ الاعتدال والاتزان بين مقاطع الكلام، هذا الاتزان الذي يخلق حلاوة واستحسانا لدى المتلّقي رغم غياب شرط اتفاق الحروف والذي يُشترط في السّجع.

ومن صور الموازنة في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة مريم:

{واتّخذوا من دون الله آلهةً ليكونوا لهم عِزًّا * كلّا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضِدًّا * ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزًّا * فلا تعجل عليهم إنّمّا نعدّ لهم عدًّا }[4].
المُلاحظ في الآية الكريمة هو تساوي الفواصل في الوزن فالألفاظ (عزّا، ضِدّا، أزّا وكذلك عدّا) جاءت على وزن واحد وهي الخاصية المميزة لجلّ سور القرآن الكريم الذي تميّزه الموازنة.

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر،القسم1 ، ص 289 .

[2]- يُنظر المصدر نفسه، ص 291 .

[3]- يُنظر المصدر نفسه،ص291.

[4]- المصدر نفسه، ص 292 .

وفي الشعر نجد الكثير من صور الموازنة على غِرار الأبيات التالية من شعر ربيعة ابن ذؤابة:

إن يقتلوك فقد ثَلَلْتَ عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب

بأشدِّهم بأسًا على أصحابه وأعزِّهم فقدًا على الأصحاب [1]

سادسا – في اختلاف صيّغ الألفاظ واتفاقها

يرى ابن الأثير أنّ هذا النوع ذو منزلة عالية ومكانة شريفة و به ترتبط معظم الألفاظ، كما أشار إلى أنّ جلّ مدّعي فنّ الفصاحة لا يعرفون هذا النوع كما ينبغي، وعلى النّقيض فهو متمكّن من هذا العلم واستخرج منه أشياء لم يسبقه إليها أحد.

أمّا اختلاف صيَّغ الألفاظ، فإنّها إذا نُقلت من هيئة إلى هيئة، كنقلها مثلا من وزن من الأوزان إلى وزن آخر وإن كانت اللّفظة واحدةً، أو كنقلها من صيغة الاسم إلى صيغة الفعل أو العكس أو كنقلها من الماضي إلى المستقبل أو من المستقبل إلى الماضي، أو إلى غير ذلك انتقل قُبحها صار حُسنًا، وحُسنها صار قُبحًا[2].

فما يُستحسن في الجمع ليس شرطًا أن يُستحسن في الإفراد والحسن في المضارع قد يكون مستهجنا في الماضي و قِس على ذلك.

ومن النماذج التي أوردها ابن الأثير في هذا الباب لفظة " وَدَعَ " فهي من الأفعال الثلاثية المستهجنة في صيغتها الماضية و المُستحسنة في صيغة المُضارع والأمر، ومن أمثلة استعمالها في السّنة النبوية بصيغة المُستقبل قول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وقد واصل في شهر رمضان فواصل معه قوم: (لو مدّ لنا الشهر لواصلنا وِصالًا يدع له المتعمِّقون

[1]– يُنظر ابن الأثير، المثل السائر،القسم1، ص 293 .

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص 293 .

تعمُّقهم)[1]، فالفعل المضارع "يدع" جاء مُستحسنًا رغم أنّه مأخوذ من الفعل " ودع " المُستهجن.

وفي صيغة الأمر نستحضر قول أبي نواس في خمرياته:

دَعْ عنك لومي إنّ اللّوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الدّاء

فلفظة "دع " جاءت سلسة مُستحسنة.

وفي المُقابل فقد استهجن البلاغيون وصنّاع الكتابة الفنية استخدام الفعل "ودع " في صيغته الماضية، ومن الأمثلة الشاذة لاستخدام هذا الفعل قول أبي العتاهية:

أَثروا فلم يُدخلوا قُبورهم شيئًا من الثروة التي جمعوا

وكان ما قدّموا لأنفسهم أعظَمَ نفعًا من الّذي وَدَعوا[2]

فكما هو واضح لنا فلفظة "ودعوا" ثقيلة وغير مستساغة وتستهجنها أذن السامع وذوق المتلقي.

سابعًا : في المعاظلة اللّفظية

تنقسم المعاظلة إلى قسمين: معاظلة معنوية والتي فصّلها ابن الأثير في المقالة المعنوية ولفظية وهي التي سنتطرّق إليها في هذا الجزء.

المعاظلة اللّفظية :مأخوذة من قولهم "تعاظلتِ الجرادتان" أي ركبت إحداهما الأخرى، فسمّي الكلام المتراكب في ألفاظه أو في معانيه مأخوذًا من ذلك[3].

---

[1]– ابن الأثير: المثل السائر،القسم1، ص 295 .

[2]– المصدر نفسه، ص295.

[3]– المصدر نفسه، ص 305 .

رفض ابن الأثير ما أورده قدامة ابن جعفر عن المُعاظلة وأنّها دخول بعض الكلام فيما ليس من جنسه وأنّها من فاحش الاستعارة وهو الرأي الذي مثّل له بقول أوس ابن حَجَر[1]:

وذاتُ هِدمٍ عارٍ نواشُرُها تُصمتُ بالماء تولبًا جَدِعا

سمّى الشاعر الصّبي تولبا والتولب ولد الحمار.

فرأي قدامة ابن جعفر خاطئ حسب ابن الأثير ولا يتفق مع حقيقة المعاظلة التي هي التراكب[2].

أقسام المعاظلة اللّفظية: قسّم ابن الأثير المعاظلة اللّفظية إلى خمسة أقسام هي:

1- **ما يختصّ بالأدوات:** يختصّ بأدوات الكلام نحو من، إلى، عن، وعلى، وأشباهها، فإنّ منها ما يسهل النّطق به إذا ورد مع أخواته، ومنها مالا يسهل، بل يرد ثقيلًا على اللِّسان[3].

فالعلّة إذن ليست في الأدوات بعينها ولكن في تداخلها فيما بينها ومع الألفاظ.

مثّل ابن الأثير لهذا القِسم من المُعاظلة بقول أبي تمام:

إلى خالدٍ راحت بنا أرحَبِيّة مرافقها من على كراكرها نُكب[4]

فكما نلاحظ فالأداتين" من " و"على "جاءتا متراكبتين إحداهما على الأخرى وهو ما أدى إلى ثِقل الجملة، وهذا على نقيض قطري بن الفجاعة الذي أصاب في استخدام الأداتين استخداما مستحسنا وذلك في بيته الشعري الذي يقول فيه:

ولقد أراني للرّماح دريئة من عن يميني مرّةً وأمامي[1]

---

[1]–ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ق1، ص 306.

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص 306.

[3]– المصدر نفسه، ص 307.

[4]– المصدر نفسه، ص307.

فهذا البيت يؤكد ما سبق وأن قلناه عن كون العلّة في السبك وليس في الأدوات بحدّ ذاتها، فالأداتين "من " و"عن " هي نفس الأداتين التي استخدمهما أبو تمام، ورغم ذلك فقد وردت في بيت أبي تمام ثقيلة وغير مُستحسنة في حين جاءت في بيت قطري بن الفجاعة خفيفة سلسة.

وكذلك قول جميل بن معمر العُذري:

بعيد على من ليس يطلب حاجة وأمّا على ذي حاجة فقريب

فهذا البيت ورغم تتالي الأداتين" من "و " على" إلّا أنّه جاء سلسا وخفيفًا.

2- ما يختصّ بالحروف:

هو تكرّير حرفٍ واحد أو حرفين في كلّ لفظةٍ من ألفاظ الكلام المنثورِ أو المنظومِ، فيثقل حينئذ النّطق بها، فمن ذلك قول بعضهم:

وقبر حربٍ بمكانٍ قفر وليس قُرب قبرِ حربٍ قبرُ[2]

أدّى تكرار حرفي القاف والرّاء في معظم الألفاظ المستخدمة في هذا البيت إلى حدوث ثقل في هذا البيت الشعري.

ومن الأمثلة عن التكرار المخلّ للحروف، قول الأعشى:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبّعني شاوٍ مشلّ شلول شلشل شوِلُ

فجرير في هذه الأبيات لم يوفّق في اختياره للألفاظ حيث أنها تحمل نفس المعنى بالإضافة إلى ثِقلها نتيجة تكرار نفس الحروف.

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر، القسم1، ص 307 .

[2]- المصدر نفسه، ص 309 .

3- ورود ألفاظ على صيغة الفعل تتبّع بعضها بعضا:

هو أن ترد عدّة أفعال ذات معنىً واحد متتاليةً، سواء جاءت في الزمن نفسه أو في أزمنة مختلفة [1].

والقصد من متتالية أي لا يفرّق بين اللّفظتين لفظة ثالثة ذات صيغة وبناء مختلف، ومن ذلك قول المتنبي:

أقِلْ أنِلْ أقْطِع احمِلْ عَلِّ سلْ أعِدْ زِدهَشَّ بَشَّ تفضَّل أدْنِ سُرَّ صِلِ[2]

فهذه الأفعال جاءت جميعها على صيغة الأمر التي تكرّرت في كامل البيت وهو ما تسبّب في ثِقله وتداخل ألفاظه فيما بينها.

في حين نحسّ بخِفة وسلاسة عند قراءة شعر عبد السّلام بن رغبان الذي يقول فيه:

فسَد النَّاس فاطلب الرّزق بالسّيْ فِ وإلّا فمت شديد الهُزالِ

أحلُ و امرُرْ وضرَّ وانفع ولن واخـ شُن وأبرِزْ ثمّ انتدب للمعالي[3]

فكما يتّضح لنا فإنّ إضافة حرف الواو أزال الثقل عن الألفاظ رغم أنّها جاءت في صيغة واحدة هي صيغة الأمر على غِرار بيت المتنبي.

4- الذي يتضمن مضافات كثيرة:

وهذا القِسم حسب ابن الأثير أشدّ قبحًا وأثقل على اللّسان، ومن ذلك قول ابن بابك في مستهل قصيدته :

---

[1]- يُنظر ابن الأثير: المثل السائر، القسم1، ص 311 .

[2]- الصدر نفسه، ص 312 .

[3]- المصدر نفسه، ص312.

حمامةَ جرعَا حومةِ الجندلِ اسجعي فأنت بمرأًى من سعاد ومسمعي[1].

بالغ ابن بابك في استخدام المضافات حيث نلاحظ ورود أربع مضافات الواحدة تلو الأخرى دون وجود عازل بينها وهو ما أدى إلى ثقل الكلام.

5- ورود صفات متعدّدة على نحوٍ واحد :

أي تتالي الصّفات الواحدة تلو الأخرى دون وجود فاصل بينها، ومن الأمثلة التي أوردها ابن الأثير عن هذا القِسم بيت شعري لأبي الطيّب المتنبي يقول فيه:

ومرّ تهفو ذُؤابتاهُ على أسمرِ متنِ يوم الوغى جسِدِه

مارِنِه لدنِه مُثقَّفه عِراضِه في الأكُفِّ مطَّرِدِهْ[2]

لا يتجاوز البيت الثاني كونه مجرّد عرضٍ متتالٍ لصفات الرُّمح دون أيّ فاصل بينها، وهو ما جعل البيت ثقيلا وقبيحًا على حدّ تعبير ابن الأثير الذي قال: " قاتله الله، ما أمتن شعره، أسخفه في بعض الأحوال"[3].

أعاب ابن الأثير على المتنبي إتيانه للعديد من الصفات المرصوفة الواحدة تلو الأخرى لموصوفٍ واحد، كما أعاب عليه قوله في بيت آخر:

دانٍ، بعيد، محبّ، مبغض، بهج أغرّ، حلو، ممّر، ليّن، شرس

ندٍ، أبيٍّ، غرٍ، واف، أخي ثَقة جعدٍ سريّ، نهٍ، ندب رضًى، نَدُسِ [4]

فلا يخفى على القارئ الرّصف المبالغ فيه للصفات في هاذين البيتين الشعريين.

---

[1]- يُنظر: ابن الأثير: المثل السائر، القسم1، ص 313 .

[2]- المصدر نفسه، ص 314 .

[3]- المصدر نفسه، ص 314 .

[4]- المصدر نفسه، ص 315.

ثامنًا – في المنافرة بين الألفاظ في السبك:

وهي أن يُذكر لفظٌ أو ألفاظٌ يكون غيرها ممّا هو في معناها أولى بالذّكر[1].

أي أن يستخدم القائل أو الكاتب لفظةً ما في موضعٍ ما في حين كان الأجدر به استخدام لفظة أخرى أكثر مناسبة من الأولى، فالمنافرة إذن هي استخدام ألفاظٍ في غير موضعها وهو على نقيض المعاظلة التي هي التداخل والتراكب بين الألفاظ.

و المنافرة حسب ابن الأثير تنقسم إلى قسمين هما:

الأول : يوجد في اللّفظة المفردة وهذا القِسم إذا ورد في الكلام أمكن تبديله بغيره ممّا هو في معناه، سواء كان ذلك الكلام نثرًا أو نظمًا[2].

إنّ اختصاص هذا القسم باللّفظة المفردة جعل من السّهل تبديل كلمة ما بأختها الأنسب منها ومثال ذلك قول أبي الطيّب المتنبّي:

فلا يُبرَمُ الأمرُ الذي هو حاللٌ ولا يحلل الأمر الذي هو يُبرَمُ

يرى ابن الأثير أنّه كان الأجدر بالمتنبّي استخدام لفظة " ناقضٌ " بدل "حاللٌ "، فلو فعل ذلك وقال:

فلا يُبرم الأمرُ الذي هو ناقِضُ ولا يُنقضُ الأمرُ الذي يُبرمُ

لجاءت اللّفظة قارّة مستقرة في مكانها غير قلقة[3].

فلفظة " ناقض " جاءت خفيفة على السمع مستحسنة وهذا على نقيض لفظة " حاللٌ " التي قام المتنبّي بفك الإدغام عنها مما جعلها ثقيلة الاستخدام.

---

[1]– ابن الأثير، المثل السائر،القسم1، ص 316.

[2]– المصدر نفسه، ص 316.

[3]– يُنظر المصدر نفسه، ص 316.

أما القِسم الثاني فيوجد في الألفاظ المتعدّدة ولا يمكن تبديله بغيره في الشعر بسبب الوزن ولكن في النثر يمكن تبديله[1].

فهذا القسم لا يُمكن تطبيقه سوى في النثر ولكن يتعذّر تطبيقه في الشعر، ومن أمثلة المنافرة في الشعر قول:

لا خَلْقَ أكرمَ منكَ إلّا عارفٌ بك راءَ نفسكَ لم يقل لك هاتِها[2]

فعجز البيت الشعري جاء نافرًا لكن لا يمكن تبديل الألفاظ المستخدمة بألفاظ جديدة بسبب عائق الوزن.

[1]– يُنظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 316.

[2]– المصدر نفسه، ص 320.

الفصل الثانى

الصناعة المعنوية

عند ابن الأثير

في الصناعة المعنوية:

تناول ابن الأثير في هذه المقالة المُعنونة بالصناعة المعنوية كلّ ما يتعلق بالمعاني وهي المقالة التي افتتحها بتوطئة تطرّق فيها إلى أصول المعاني الخِطابية ونقدها، هذا وقد قسّم المقالة المعنوية إلى قِسمين الأول فيما يتعلّق بالمعاني مجملًا والثاني فيما يتعلّق بالمعاني مفصلًا، وقد حصر ابن الأثير المعاني في ثلاثين نوعًا أوردها في القسمين الثاني والثالث وجزء من القسم الرابع من الكتاب.

القِسم الأول : في الكلام عن المعاني مُجملًا

أي الحديث عن المعاني بصفة عامة دون تفصيل وحسب ابن الأثير فإنّ هذا القِسم ينقسم إلى ضربين هما:

الضرب الأول قال عنه ابن الأثير:

" يبتدعه مؤلّف الكلام من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه "[1].

ومعنى هذا أن يأتي الشاعر أو الكاتب بالسّبق في المعاني ونجد هذا الضرب في الأمور الطارئة والمتجدّدة والتي لم تحدث للقدامى ممّا يمنح الفرصة للمحدثين للإبداع فيها: ومن الأمثلة التي أوردها ابن الأثير لشرح هذا الضرب من المعاني، قول أبي نواس:

تُدار علينا الرّاح في عَسْجديّةٍ حبتها بأنواع التّصاويرِ فارسُ

قرارتها كِسرى وفي جنباتها مهًا ثورتها بالعِشّي الفوارسُ

فلّلراح ما زُرَّت عليه جُيوبُها وللماء ما دارت عليه القلانسُ[2]

[1]– ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ق2، ص 7.

[2]– المصدر نفسه، ص 13.

فأبو نواس في وصفه كؤوس الخمر المصنوعة من الذّهب قد أتى بالجديد الذي لم يسبِقهُ إليه شاعرٌ، وما يؤكد لنا صحّة قولنا هو قول الجاحظ الذي عبّر عن رأيه عن المعاني التي أوردها الشعراء القدماء والمعاصرين له:

"مازال الشُعراء يتناقلون المعنى قديمًا وحديثًا إلّا هذا المعنى، فإنّ أبا نواسٍ انفرد بإبداعه"[1]. كما يتضّح من قول الجاحظ فإنّ أبا نواس قد ابتكر هذا المعنى ولم يأخذه عن القدماء فهو وعلى نقيض معظم الشعراء مبدِع وليس تابع.

ومن الأمثلة التي أوردها ابن الأثير لشرح هذا الضرب من المعاني المُجملة أبياتًا نظمتها زوجة كُلَيْب بعد مَقْتل زوجها على يدي شقيقها جسّاس بن مرّة ردًّا على نساءٍ اتهمنها بالشماتة في مقتل زوجها قالت فيها:

يا ابنةَ الأقوامِ إن شئتِ فلا تعجلي باللّوم حتى تسأل

فإذا أنت تبيّنت الّذي يوجب اللّوم فلومي واعذُلي

جلّ عندي فِعلُ جسّاس فوا حسرتا عمّ انجلت أو تنجلي

فِعلُ جسّاسٍ على وِجدي به قاطعٌ ظهري ومدنٍ أجلي

يا قتيلًا قوّض الدهر به سقفَ بَيْتَيَّ جميعًا من علِ

هدّم البيت الّذي استَحْدثتُه وانثنى في هدم بيتي الأوّلِ

إنّني قاتِلةٌ مقتولةٌ ولعلّ الله أن يرتاح لي [2]

[1]– ابن الأثير: المثل السائر،ق2 ، ص 14.

[2]– المصدر نفسه ، ص 17.

طرقَتْ زوجة كُلَيْب في هذه الأبيات معانٍ جديدة لم يسبقها إليها أحد، وذلك أنّها وليدة اللّحظة و مُستحدثة في ظرفٍ خاص هو موت كُلَيْب ولوم نساء قبيلته لزوجته كونها أخت القاتل.

أمّا الضرب الثاني من المعاني فهو الّذي يُحتذى فيه على مثالٍ سابقٍ، ومَنهَجٍ مطروقٍ، فذلك جُلُّ ما يستخدمه أرباب هذه الصناعة، وهو ما دفع عنترة إلى القول:

هل غادر الشّعراء من متردّم أم هل عرفت الدّار بعد توهمِ[1]

فبيت عنترة بن شدّاد كفيل بشرح هذا الضّرب وهو أنّ المعاني قد استنفذها القدماء ولم يبق للمتأخرّين سوى التقلّيد وتكرار معانٍ سبق وأن طرقها المتقدّمين،غير أنّ ابن الأثير رفض تحجّج البعض بنفاذ المعاني للتقليد داعيًا إلى البحث والاجتهاد وعدم اليأس والرّكون إلى ما قيل من قبل فقط، مؤكدًا على وجود خبايا للأفكار يمكن استغلالها، ولكن العلّة في قِصر هممهم وثبط عزيمتهم التي جعلت قصارى جهدهم ومنتهى آمالهم تقليد القدامى وليتهم قلدّوا ولم يقصروا عنهم تقصّيرًا فاحشًا[2].

فحسب ابن الأثير فما قاله عنترة ليس بمبرّر للتقاعس عن البحث عن المعاني الجديدة ومحاولة الابتكار.

استحضر ابن الأثير في حديثه عن هذه المعاني كتابًا يسمّى"مقدِّمة ابن افلح البغداديّ" والذي تطرّق فيه صاحبه إلى موضوع المعاني المبتدعة التي قال فيها: " أمّا المعاني المبتدعة فليس للعرب منها شيء، و إنّما اختصّ بها المحدثون "[3]، وهذا الكلام ممّا يتناقض مع العقل فلا يُعقل لمتقدّم أن يُقلّد والمتأخر يُبدع وإن كان الأمر كذلك فمن يُقلّد المتقدّم ؟؟ لابدّ من نموذج يقلّده فمن هم المُقَلَّدون؟، ومنه فكلام صاحب الكتاب غير منطقي وينّم عن

[1]– ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ق2 ، ص 58.

[2]– يُنظر المصدر نفسه ، ص 58.

[3]– المصدر نفسه، ص 59.

جهله بما نظمه القدامى، وهو الرأي الذي يؤكدّه ابن الأثير بقوله: " وتلك الأقوال التي خصّ قائليها بأنّهم ابتدعوها قد سُبِقوا إليها، فإمّا أن يكون غير عارفٍ بالمعنى الغريب، وإمّا أنّه لم يقف على أقوال النّاظمين والنّاثرين، ولا تبحّر فيها، حتى عرف ما قاله المتقدّم، ممّا قاله المتأخِّر"[1].

فابن الأثير ومن خلال قوله هذا يؤكدّ ما قيل من قبل عن كون صاحب المقدّمة جاهل بالأشعار العربية القديمة غير مدرك للمعنى الغريب، وهو ما دفعه للقول بأنّ شعر القدامى إتباع وشعر المبدعين ابتداع.

ومن الأدلّة التي تؤكد الطرح القائل بأنّ القدامى ابتدعوا ولم يتّبعوا هو قول امرئ القيس:

عوجا على الطّلل المحيل لعلّنا نبكي الدِّيار، كما بكى ابن حُذام[2]

فهذا البيت الشعري يؤكد لنا أنّ البكاء على الأطلال قديم وسابق عن امرئ القيس وأنّ أول من بكى الأطلال هو ابن حُذام، وهو ما يدحض القول السابق الوارد في كتاب " مقدِّمة ابن أفلح البغداديّ " عن كون المحدثين هم السّابقين في الابتداع.

أنواع المعاني:

قسّم ابن الأثير المعاني إلى ثلاثين نوعًا هي:

النوع الأول: في الاستعارة

قبل الحديث عن الاستعارة والتعريف بها أشار ابن الأثير إلى الأوصاف الخاصة والعامة للفصاحة والبلاغة، أمّا الخاصة منها فهي كالتجنيس فيما يخصّ الجانب اللّفظي والمُطابقة

[1]– ابن الأثير، المثل السائر،ق2، ص59.

[2]– المصدر نفسه، ص 62.

في الجانب المعنوي، بينما تتمّثل الأوصاف العامّة في السّجع فيما يخص اللّفظ والاستعارة فيما يتعلّق بالمعنى[1].

يرى ابن الأثير أنّ الاستعارة عبارة عن تشبيه حُذف منه المشبّه أو المشبّه به ويسمّى "التشبيه المحذوف "، وهو على نقيض النّوع الثاني من التشبيه وهو التشبيه التّام الذي لا يُحذف فيه لا المشبه ولا المشبه به، وترجع تسمية التشبيه المحذوف بالاستعارة للتفريق بينه وبين التشبيه التّام[2].

ومنه فالاستعارة تشبيه حُذِفت إحدى أركانه.

حدّ الاستعارة:

أشار ابن الأثير إلى قول شائعٍ عن حدّ الاستعارة والذي هو: " إنّه نقل المعنى من لفظٍ إلى لفظٍ بسبب مشاركة بينها"، وهو القول الذي رفضه ابن الأثير لأنّ هذا الحدّ مُشترك بين التشبيه والاستعارة لأنّ كلاهما يقومان على المشاركة بين اللّفظ الأول والثاني، ثم إنّ حدّ الاستعارة حسب ابن الأثير هو نقل المعنى من لفظٍ إلى لفظٍ لمشاركة بينهما مع طيّ المنقول إليه (المشبّه)[3].

إذا أخذنا بالقول الأول الذي ينصّ على أنّ الاستعارة هي نقل لفظٍ إلى لفظٍ بسبب مشاركة بينهما و قُلنا: سهامٌ وردةٌ فنحن هنا ربطنا سهام والوردة بسبب اشتراكهما في صفة الجمال وهو تشبيه، ولا يصّح لنا ربطها بالاستعارة لاستيفائها كلا الركنين (لا مشبّه و مشبّه به) وعدم حذف أيٍّ منهما، بينما لو قلنا لبستُ المُنى كما قال أبو القاسم الشابي في قصيدته المُعنونة بـ: " إرادة الحياة ":

---

[1]- يُنظر ابن الأثير: المثل السائر، ق2، ص 70 .

[2]- يُنظر المصدر نفسه، ص 72 .

[3]- يُنظر المصدر نفسه، ص 83 .

إذا ما طمحتُ إلى غايةٍ لبستُ المُنى وخلعتُ الحذر

فكما نعلم فالمُنى لا يُلبس والحذر لا يُخلع إنّما الشاعر شبّه المنى والحذر باللّباس وحذف المشبّه به، وهو ما يُناقض المثال السّابق الذي ذُكر فيه المشبّه والمشبّه به ومنه فالأول تشبيه والثاني استعارة.

القرينة:

من أجل تبيين المقصود من الكلام والتّفريق بين الكلام الحقيقي والمجازي وجب ذِكر قرينة تعود على الرُكن المحذوف، ففي المثال الشعري السابق حين قال الشاعر" لبست المُنى " فلفظة "لبستُ " هي القرينة التي تعود على المشبّه به المحذوف وهو اللّباس، وذلك أنّ المُنى لا يُلبس إنّما صفة اللّبس مختصٌّ بالملابس ؛ فكما نرى فإنّ إيراد لفظة " لبستُ " أزالت الإبهام وكشفت المشبّه به.

النوع الثاني:في التشبيه

رفض ابن الأثير ما ذهب إليه بعض علماء البيان من التفريق بين التشبّيه والتمثيل مؤكدًا أنّهما وجهان لعملةٍ واحدة، فأن تقول شبّهت الشيء بالشيء هو نفس المعنى حين تقول مثّلت شيئًا ما بشيءٍ آخر[1]، ومثلما سبق ذِكره في باب الاستعارة فإنّ التشبيه هو نقل المعنى من لفظٍ إلى لفظٍ بسبب مشاركة بينهما مع ذِكر المشبّه والمشبّه به معًا وإلّا تحولت إلى استعارة. هذا وقد قسّم ابن الأثير التشبيه إلى قسمين: مظهرًا ومضمرًا [2]

أمّا المُضمر فهو الذي كانت الأداة مضمرة فيه أي خفيّة كقولنا: جمالٌ فيلٌ فنحن هنا شبّهنا جمال بالفيل ولم نُظهر الأداة، وينقسم التشبيه المضمر إلى خمسة أقسام هي:

[1]– يُنظر ابن الأثير، المثل السائر،القسم2، ص 115 .

[2]– المصدر نفسه، ص115.

الأول: يقع موقع المبتدأ والخبر مفردين[1]، ومثال ذلك عمرُ فهدٌ فعمر في مبتدأ وهو المشبّه و فهدٌ خبر وهو المشبّه به وتقديره قبل حذف الأداة عمر كالفهد.

الثاني: يقع موقع المبتدأ المفرد وخبره جملة مركبة من مضاف ومضاف إليه[2]، ومثال ذلك قولنا الشباب كنز الأمة وتقديره الشباب كالكنز للأمة.

الثالث : يقع موقع المبتدأ والخبر جملتين[3]، كقولنا:

الرابع : يرّد على وجه الفعل والفاعل[4]، كقولنا جَرَح لسانُ الحقود قلبي، فكما يعرف الجميع فإنّ اللّسان لا يجرح إنّما شبّهت اللّسان بالسيف وتقديره جرح لسان الحقود قلبي كجُرح السيف.

الخامس: يُرّد على وجه المثل المضروب[5]، كقول الفرزدق يهجو جريرًا:

ما ضرّ تغلب وائلٍ أهَجَوتَها أم بُلتَ حيثُ تناطح البحرانِ

شبّه الفرزدق هِجاء جريرٍ للتغلبيين بالبول في مجمع البحرين فكما لا يؤثر البول في مجمع البحرين كذلك هجاء جرير لا يؤثر في بني تغلب، والفرزدق هنا ضرب مثلًا عن عبثية هِجاء جرير لهم[6].

بينما التشبّيه المُظهر هو التشبّيه الذي يُكشف فيه عن الأداة.

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر، ق2، ص115.

[2]- المصدر نفسه، ص 115.

[3]- المصدر نفسه،ص نفسها.

[4]- المصدر نفسه، ص نفسها.

[5]- المصدر نفسه، ص نفسها.

[6]- يُنظر المصدر نفسه ، ص 118 .

يرى ابن الأثير أنّ التشبّيه المُضمر أبلغ وأوجز من التشبيه المُظهر الأداة رغم أنّ المُظهر الأداة كذلك بليغ وموجز، فحين نقول زيد أسد فنحن جعلنا زيدًا أسدًا من غير مماثلة [1].

فائدة التشبيه:

للتشبّيه فائدة كبيرة وهي الترغيب أو التنفير عن شيء ما وذلك من خلال تمثيله وتشبيهه بشيءٍ أحسن منه أو أقبح منه[2].

ومنه فإنّ التشبيه يكون بين شيئين أحدهما أحسن من الآخر أو أقبح منه ولا يصّح التشبيه بين شيئين متساويين في الحُسن أو القُبح.

أقسام التشبّيه [3]:

– تشبّيه معنى بمعنى، كقولنا زيدٌ كالأسد .

– تشبّيه صورةٍ بصورةٍ كقوله تعالى: { وعندهم قاصراتُ الطّرفِ عينٌ * كأنّهنّ بيضٌ مكنونٌ }، فهنا قد شبّه الله عزّ وجلّ الحور العين بالبيض المكنون.

– تشبّيه معنًى بصورة، كقوله تعالى: { والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ }.

– تشبّيه صورةٍ بمعنى، كقول أبي تمام:

وفتكت بالمال الجزيل وبالعِدا فتكَ الصَّبابةِ بالمُحبِّ المغرم

[1]– يُنظر ابن الأثير: المثل السائر،ق2 ، ص 121 .

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص 123 .

[3]– المصدر نفسه، ص 128 .

فأبو تمام شبّه فتكه بالمال الذي هو صورة مرئية بفتك الشوق بالمُغرم والتي هي صورة معنوية.

النوع الثالث: في التجريد

يعرّف ابن الأثير التجريد على أنّه: " إخلاص الخِطاب لغيرك، وأنت تريد به نفسك، لا المُخاطَب نفسه لأنّ أصله في وضع اللُّغة من "جرّدتُ السيفَ " إذا نزعته من غِمده "[1]. أي أن تتوجه بالخِطاب لغيرك في الوقت الذي تكون أنت هو المقصود من ذلك الخِطاب. وللتجريد حسب ابن الأثير فائدتين أولهما: التوسع في الكلام وثانيهما أن يتمكنّ المُخاطب من إجراء الأوصاف على نفسه من مدحٍ وغيره، وذلك من خلال غطاء خِطاب الغير ليكون أبرأ لنفسه وأعذر[2].

فالكاتب أو الشاعر ومن خِلال التجريد يبرئ ساحته من الفخر والكِبر.

هذا وقد قسّم ابن الأثير التجريد إلى قسمين هما:

أولًا: تجريد محض

وهو أن تأتي بكلام هو خِطابٌ لغيرك، وأنت تريد به نفسك[3]، أي أن تتوجه بالخطاب للغير في حين أنّ المقصود من الخِطاب هو أنت.

ومن الأمثلة التي أوردها ابن الأثير قول الشاعر " الحيصَ بيصَ " في مطلع قصيدة له:

إلام يراك المجد في زيّ شاعرِ وقد نحلَت شوقًا فروعُ المنابرِ

كتمتَ بعيبِ الشِّعر حِلمًا وحِكمةً ببعضهما ينقاد صعبُ المفاخرِ

---

[1]– ابن الأثير، المثل السائر، ق2، ص 159 .

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص 160 .

[3]– المصدر نفسه، ص160.

أما وأبيك الخيرَ إنّك فارسُ الـ مقال ومُحيي الدّراسات الغوابرِ

وإنّك أعييت المسامِعَ والنُّهى بقولك عمّا في بطون الدّفاتر [1]

فالشاعر " الحيص بيصَ " في الأبيات الشعرية السابقة استخدم ضمير المُخاطب أنت في حين أنّ القصد المبثوث في الأبيات هو الفخر بنفسه فهو المقصود بخِطابه هذا.

أمّا القِسم الثاني من التجريد فهو التجريد الغير المَحض وهو خِطابٌ لنفسك لا لغيرك[2].

ففي هذا القِسم يتوجّه المتكلّم بالخِطاب بنفسه لنفسه فاصلًا إياها عنه، وهو غير القسم الأول الذي يكون فيه الخِطاب موجّها للآخر خارج نفسه، ومن الأمثلة التي قدّمها ابن الأثير عن التجريد غير المحض قول عمرو بن الإطنابة:

أقول لها وقد جشأت و تجاشت رُوَيدك تُحمدي أو تستريحي [3]

فالشاعر في هذا البيت يُخاطب نفسه بكلامه هذا.

النوع الرابع : في الالتفات

عرّف ابن الأثير الالتفات بأنه الانتقال من صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خِطاب حاضر إلى غائب أو غائب إلى حاضر أو من فعل ماضي إلى مستقبل أو من مستقبل إلى ماضٍ".[4] فالالتفات هو المُخالفة بين الصيّغ في الجمل الواحدة بحيث ينتقل من استخدام الأفعال الماضية مثلا إلى المُضارعة أو من صيغة الجمع إلى المُفرد أو العكس.

---

[1]– ابن الأثير، المثل السائر، ق2،ص 161 .

[2]– المصدر نفسه، ص 163 .

[3]– المصدر نفسه، ص163.

[4]– يُنظر المصدر نفسه، ص 167 .

وقد قسّمه ابن الأثير إلى ثلاثة أقسامٍ هي:

القسم الأول : في الرجوع من الغيبة إلى الخِطاب ومن الخِطاب إلى الغيبة [1]

ومعنى هذا هو الانتقال من الغائب إلى مخاطبة الحاضر أي المخاطب أو الانتقال من المخاطب إلى الغائب، وقد استشهد ابن الأثير بعديد الصور القرآنية التي حوت الالتفات بكلِّ أقسامه بما فيه الرجوع من وإلى الغيبة والخِطاب، ومن الأمثلة التي أوردها قوله تعالى في سورة الفاتحة:{ الحمد للّه ربِّ العالمين * الرحمن الرّحيم * مالك يوم الدّين * إيّاك نعبد وإيّاك نستعين * إهدنا الصرّاط المستقيم * صراط الّذين أنعمت عليهم * غير المغضوب عليهم ولا الضالّين }[2].

ففي الآية الأولى و الرابعة انتقل فيه الله عزّ وجلّ من الغيبة التي تضمنّتها الآية الأولى إلى الخِطاب الذي جاء في الآية الرابعة فالله تعالى في الآية الأولى قال:{ الحمد لله } ولم يقل الحمد لك و هو ما يُعتبر غيبة، بيد أنه في الآية الرابعة استعمل ضمير المُخاطب" أنت " فقال: { إيّاك نعبد } ففي هذه الآية خِطاب.

هذا فيما يخصّ الانتقال من الغيبة إلى الخِطاب، أما الانتقال من الخِطاب إلى الغيبة فقد استحضر ابن الأثير قوله تعالى في سورة الأنبياء: { إنّ هذه أمتكم أمةً واحدةً و أنا ربّكم فاعبدون * وتقطّعوا أمرهم بينهم كلّ إلينا راجعون }[3].

انتقلت الآيتين من الخطاب في قوله تعالى: { إنّ هذه أمتكم } والتي استعمل فيها ضمير المُخاطب أنتم، إلى الغيبة من خلال قوله عزّ وجلّ: { وتقطّعوا أمرهم بينهم } والتي استعمل فيها ضمير الغائب هم.

---

[1]– ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ق2، ص 168 .

[2]– المصدر نفسه، ص 170 .

[3]– المصدر نفسه، ص 178 .

القسم الثاني: في الرجوع عن الفعل المُستقبل إلى فعل الأمر، وعن الفعل الماضي إلى الفعل الأمر[1]

استشهد ابن الأثير في خِضّمِ حديثه عن الانتقال من المستقبل إلى الأمر بقوله تعالى في سورة هود:

{ يا هود ما جئتنا ببيّنة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوءٍ قال إني أُشهدُ الله واشهدوا أني بريء ممّا تُشركون }[2]. ففي قوله تعالى:{ أُشهدُ الله واشهدوا } انتقال من المستقبل في قوله " أُشهدُ " إلى الأمر في قوله " اشهدوا ".

أما الانتقال من الماضي إلى الأمر فيتجسّد في قوله تعالى في سورة الأعراف: { قل أمر ربي بالقِسط وأقيموا وجوهكم عند كلّ مسجدٍ وادعوه مخلصين له الدّين }[3].

يتجلى الانتقال من الماضي إلى الأمر في قوله " أمر ربي " فالفعل أمر ماضي، بينما قوله تعالى " أقيموا وجوهكم " فهو أمر ففي الآية السابقة انتقال من الماضي إلى الأمر.

القسم الثالث: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المُستقبل بالماضي

ينقسم الإخبار عن الماضي بالمستقبل إلى ضربين :

الأول بلاغي: وهو إخبار عن ماضٍ بمستقبل كقوله تعالى في سورة فاطر: { والله الذي أرسل الرّياح فتثير سحابًا فسُقناه إلى بلدٍ ميتٍ فأحْيَيْنا به الأرض بعد موتها

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر،القسم2، ص 179 .

[2]- المصدر نفسه، ص179.

[3]- المصدر نفسه، ص 180 .

كذلك النُّشور }[1]، فالله عزّ وجلّ في هذه الآية عبّر عن الماضي الذي يدلّ عليه الفعل الماضي " أرسل " باستخدام المستقبل من خلال استعمال الفعل المستقبل " تثير " والذي أتبعه بالفعل الماضي " أحيَيْنا ".

أما الثاني غير بلاغي: مستقبلٌ دلّ على مستقبلٍ غيرِ ماضٍ أي أنّه مازال مستمرًا ولم يمض[2]، ومن ذلك قوله عزّ وجلّ في سورة الحج:

{ إنّ الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله }[3]، ففي هذه الآية تحول من الماضي في قوله : " كفروا " إلى المستقبل بقوله: " يصدّون " مع استمرار كفرهم وتجدّده وكذا تجدّد صدهم لسبيل الله.

كان هذا فيما يخصّ الإخبار عن الماضي بالمستقبل أما الإخبار عن المستقبل بالماضي فيظهر لنا في قوله تعالى في سورة النمل: { ويوم يُنفخ في الصّور ففزع من في السّماوات ومن في الأرض }[4]، فكما يعرف الكلّ فإنّ النفخ في الصّور يكون يوم القيامة فحسب فهي إذن تختصّ بالمستقبل، ولكن في هذه الآية عبّر عن المستقل بالماضي فقال: " ففزع " التي جاءت بعد الفعل " يُنفخ " الدال على المستقبل ولم يقل: " يفزع أو سيفزع " اللّتان تدّلان على المستقبل.

---

[1]– ابن الأثير: المثل السائر، ق2، ص 181 .

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص نفسها .

[3]– المصدر نفسه ، ص 184 .

[4]– المصدر نفسه، ص 185 .

النوع الخامس : في توكيد الضميرين

ومعنى هذا حسب ابن الأثير أن يؤكد الضمير المتصل بالمنفصل، أو المتصل بالمتصل أو المنفصل بالمنفصل[1]، أي التوكيد باستخدام ضميرين بغضّ النظر عن ماهية الضميرين هل هما متصلين أم منفصلين أم أنّ أحدهما متصّل والآخر منفصل.

– أما توكيد المتصل بالمتصل فكقوله تعالى في سورة الكهف: { ألم أقل لك إنّك لن تستطيع معي صبرًا }[2]، ففي هذه الآية الكريمة جمع الله عزّ وجلّ بين توكيدين متصّلين من خلال قوله: " ألم أقل لك إنّك " فالضميرين " الكاف " تكرّر مرتين متتاليتين للتأكيد على الأمر. – توكيد المتصّل بالمنفصل كقوله تعالى في سورة طه: { فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا لا تخف إنّك أنت الأعلى }[3]، ففي هذه الآية ربط بين الضمير المنفصل (الكاف) في قوله " إنّك " والمتصّل " أنت ".

– توكيد المنفصل بالمنفصل كقول أبي تمام:

لا أنت أنتَ ولا الدِّيار ديار خفَّ الهوى وتولَّ الأوطارُ[4]

ففي تتالي الضمير المتصل " أنت " توكيد متصل بمتصل.

النوع السادس : في عطف المظهر على ضميره والإفصاح به بعده

أي أن يُصرِّح الكاتب بالذي عبّر عنه في بداية الجملة بضمير ويُظهره، ومثال ذلك قوله تعالى في سورة سبأ:{ إذا تُتلى عليهم آياتنا بيّناتٍ قالوا ما هذا إلّا رجلٌ يريد أن يصدّكم عمّا كان يعبدُ آباؤكم وقالوا ما هذا إلّا إفكٌ مفترًى وقال الّذين كفروا للحقِّ لمّا جاءهم إن هذا إلّا

---

[1]– ابن الأثير، المثل السائر، ق2 ، ص 187 .

[2]– المصدر نفسه، ص 188 .

[3]– المصدر نفسه، ص 189 .

[4]– المصدر نفسه، ص 191 .

سِحرٌ مبين }[1]، ففي هذه الآية الكريمة صرّح الله عزّ وجلّ بالقائل وهم الكافرون الذين كان قد عبّر عليهم من قبل بالضمائر دون إظهار المعني.

وحسب ابن الأثير فإنّ هذا النوع يُعمد إليه لفائدة ، وهي تعظيم شأن الأمر الّذي أظهر عنده الاسم المضمر أولا[2]، وحسب ابن الأثير أيضًا فإن الإظهار يكون لفائدة ما وإلّا فلا يحسُن الإظهار بعد الإضمار[3].

النوع السابع : في التفسير بعد الإبهام

يقول ابن الأثير عن هذا النوع: " اعلم أنّ هذا النوع لا يعمد إلى استعماله إلّا لضربٍ من المُبالغة، فإذا جيء به في كلام فإنّما يفعل ذلك لتفخّيم أمر المُبهم وإعظامه "[4] . ففي هذا النوع يعمد القائل إلى الغموض والإبهام مما يضع السّامع في حيرة ويُجبره على التفكير ويشوّقه لمعرفة المزيد، ومثال ذلك قولنا: هل أُخبرك عن سرّ النجاح ؟ إنّه العمل الدؤوب، فقولنا هذا أبلغ من قولنا: العمل الدؤوب سرّ النّجاح، فالغموض الواقع في القول الأول جعله أبلغ.

النوع الثامن : في استعمال العام في النفي والخاص في الإثبات

يقول ابن الأثير في هذا الموضع:" أعلم أنّه إذا كان الشيئان أحدهما خاصًا والآخر عامًا فإنّ استعمال العام في حالة النفي أبلغ من استعماله في حالة الإثبات، وكذا استعمال الخاص في حالة الإثبات أبلغ من استعماله في حالة النفي"[5]، فمثلًا إذا أخذنا الإنسانية كصفة عامة فهي أوسع من الأخوة فإذا نفينا عن شخص ما الإنسانية فنحن ننفي عنه الأخوة بداهةً وهي أبلغ

---

[1]– ابن الأثير، المثل السائر، ق2،ص 195 .

[2]– المصدر نفسه، ص 193 .

[3]– يُنظر المصدر نفسه ، ص 195 .

[4]– المصدر نفسه، ص 196 .

[5]– المصدر نفسه، ص 203 .

من إثباتها ذلك أنّ إثبات الإنسانية لا يُثبت الأُخوة، فقد يتمتع الإنسان بالإنسانية لكن ليس بالأخوة لكن فاقد الإنسانية فاقدٌ للأخوة بالضرورة، وفي المقابل فقد تنعدم الأخوة لدى المرء لكن تكون لديه إنسانية.

وممّا ينتظم تحت هذا النوع:

أولًا: الخاص والعام نحو قوله تعالى في سورة البقرة: { مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم }[1]، ففي هذه الآية استعمل العام " النور " لنفي الخاص الإضاءة فهو بنفيه للنور ينفي بالضرورة الإضاءة.

ثانيًا: الأسماء المفردة الواقعة على الجنس[2]كقولنا: ليس لدى هذا الشاب خصالٌ حميدةٌ فهذا القول أقلّ بلاغة من قولنا: ليس لهذا الشاب ولا خصلة حميدة فقولنا الأخير أبلغ من الأول لأنّ نفي الجزء يقتضي نفي الكلّ.

ثالثًا : الصفتان الواردتان على شيءٍ واحد [3] كقوله عزّ وجلّ في سورة الكهف: { ما لهذا الكتاب لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها }[4]، ففي هذه الآية الكريمة ينفي عن الكتاب تجاوز صغائر الأمور فما بالك بالكبائر فعدم تجاوز الصغائر يقتضي بالضرورة عدم تجاوز الكبائر ؛ فمثلًا إذا قلتُ: لا أسمح لك أن ترفع صوتك عليّا فأنا بهذا أرفض ما يتجاوزه من رفع لليد أو ما شابهه.

رابعًا : الصفات المتعدّدة الواردة على شيءٍ واحد ومن ذلك قول البحتري في وصف نحول الرّكاب:

يترقرقن كالسّراب وقد خُضن غِمارًا من السّراب الجاري

---

[1]– ابن الأثير: المثل السائر،ق2،ص203.

[2]– المصدر نفسه، ص 205 .

[3]– المصدر نفسه، ص ن .

[4]– المصدر نفسه، ص 207 .

كالقسّي المعطّفات بل الأسهم مبريةً بل الأوتار[1]

ففي هذه الأبيات أورد البُحتري عدّة صفاتٍ لوصف شيءٍ واحد فقط هو نحول الرّكاب والتي شبّهها بالسراب والقسّي والأكثر من ذلك بالأسهم المبريّة.

النوع التاسع : في التقديم والتأخير

قسم ابن الأثير التقديم والتأخير إلى ضربان:

الضرب الأول: يختصّ بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أُخِّر المقدَّم أو قدِّم المُؤخر لتغيّر المعنى وينقسم إلى قسمين:

الأول يكون فيه التقدّيم هو الأبلغ كتقدّيم المفعول على الفعل والخبر على المبتدأ...، نحو قولنا: زيدًا ضربت[2] فنحن هنا قدّمنا المفعول وهو زيد على الفعل الذي هو الضرب وبهذا نكون قد خصّصنا زيدًا بالضّرب دون غيره، وفي هذا القسم لا يتأثر المعنى بالتقديم والتأخير.

أما القسم الثاني فيكون التأخير فيه هو الأبلغ، وفي هذا القسم يختلّ المعنى ويضطرب بتقديم ما كان يجب تأخيره وهو المعروف بالمعاظلة المعنوية[3] كتقديم الصفة أو ما يتعلّق بها على الموصوف أو تقديم الصلة على الموصول ، ومن ذلك قول أحدهم:

فأصبحت بعد خطِّ بهجتها كأنّ قفرًا رسومها قلما[4]

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر،ق2 ، ص 208 .

[2]- المصدر نفسه، ص 210 .

[3]- يُنظر المصدر نفسه ، ص 219 .

[4]- المصدر نفسه، ص 220 .

في هذا البيت الشعري قدّم الشاعر خبر كأنّ وهو " خطّ " عليها ممّا أحدث خللًا واضطرابًا في البيت الشعري، في حين كان الأولى بالشاعر تأخير الخبر بحيث يصير البيت الشعري على النحو التالي:

فأصبحت بعد بهجتها قفرًا كأنّ قلما خطّ رسومها[1]

الضرب الثاني: يختصّ بدرجة التقدّم في الذكر، لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أُخِّر لما تغيّر المعنى[2]، ومن ذلك:

1- تقدّيم السبب على المُسبّب: ومن ذلك قوله تعالى في سورة الفُرقان { وأنزلنا من السماء ماءً طهورًا لنُحيِيَ به بلدةً ميْتًا ونُسقيه ممّا خلقنا أنعامًا وأناسيّ كثيرا }[3]، في هذه الآية الكريمة قدّم الله عزّ وجلّ السبب على المُسبب فقد قدّم حياة الأرض والأنعام على البشر – رغم أنّ البشر أعظم شأنًا منهما – لأنّهما السبب في عيش الإنسان فالإنسان لا يستطيع العيش في أرض قاحلةٍ ميتةٍ ولا في أرض ليس فيها حيوانات.

2- تقديم الأكثر على الأقل: كقوله تعالى في سورة النور: { والله خلق كلّ دابةٍ من ماءٍ فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجليه ومنهم من يمشي على أربعة }، وقد قدّم الله عزّ وجلّ الماشي على بطنه لأنّه دليل على القدرة الكبيرة للماشي على البطن، ثم ذكر الماشي على الرجلين فالماشي على أربعٍ لأنّه يستخدم أكثر من عُضوٍ واحد للمشي[4].

---

[1]- يُنظر ابن الأثير: المثل السائر، ص 221.

[2]- المصدر نفسه، ص 210.

[3]- المصدر نفسه، ص 223.

[4]- يُنظر المصدر نفسه، ص 225.

النوع العاشر: في الحروف العاطفة والجارة

1- حروف العطف: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء : { والّذي هو يُطعمني ويسقين * وإذا مرضتُ فهو يشفين * والّذي يُميتني ثم يحيين } ففي الآية الأولى عطفه بالواو دلالة على التزامن، ثم عطف الثاني بالفاء لأنّ الشفاء يعقب المرض دون فاصل زمني، ثم عطف الثالث بـ ثم لأنّ البعث يكون بعد الموت بزمن[1]، ومنه فالواو تُستعمل للدلالة على التزامن والفاء تُستعمل للمُلازمة بينما ثم تُستعمل للدلالة على ما يكون بعد مدّة وفاصل زمني.

2- حروف الجر: تختلف حروف الجر في استخداماتها ففي حين تُستخدم " في " للوعاء تُستخدم " على " للاستعلاء ففي قوله تعالى في سورة سبأ: { قل من يرزقكم من السّماوات والأرض قل الله وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلالٍ مبين }[2]، فالله عزّ وجلّ في هذه الآية الكريمة رفع من شأن المهتدين باستخدام حرف الجر " على " في حين حطّ من قدر الضالّين باستخدام حرف الجر " في ".

النوع الحادي عشر: في الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق بينهما

حسب ابن الأثير فإنّ الانتقال من خطاب لآخر يكون بغرض التأكيد والمبالغة ومن ذلك قولنا: قام زيد، وإنّ زيد قائم فرغم أنّ كليهما إخبار عن زيد بالقيام إلّا أنّ قولنا: قام زيد هو إخبار فقط، بينما قولنا: إنّ زيد قائم تأكيد على قيام زيد وإن قلنا: إنّ زيد لقائم فالجملة تحوي مؤكدين " اللام " و " إنّ "[3]، ومنه فالانتقال من الجملة الفعلية " قام زيد " إلى الجملةالاسمية المؤكدة بإنّ المشدّدة كان بغرض تأكيد الفعل الذي تم القيام به.

---

[1]- يُنظر ابن الأثير: المثل السائر،ق2 ، ص 228.

[2]- المصدر نفسه، ص 232.

[3]- يُنظر المصدر نفسه ، ص 234.

ومن الأدوات التي تحقق غرض التوكيد والمُبالغة في الكلام الأداة " لام التوكيد "التي تفيد التوكيد والمُبالغة، كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام: { قالوا يا أبانا مالك لا تأمنّا على يوسفَ وإنّا له لناصحون * أرسله معنا غدًا يرتع ويلعب وإنّا له لحافظون }[1]، فإخوة يوسف عليه السلام حاولوا إظهار محبتهم ليوسف عليه السلام وتأكيدها ليَقتنع بها يعقوب عليه السلام، واستخدموا " لام التوكيد " في موضعين للتأكيد على صدق محبتهم لأخيهم.

النوع الثاني عشر: في قوة اللّفظ لقوة المعنى

أي أنه كلّما زاد اللّفظ قوة وجب زيادة قوة المعنى، وفي هذا يقول ابن الأثير: " اعلم أنّ اللّفظ إذا زاد على وزنٍ من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بدّ من أن يتضمّن من المعنى أكثر ممّا تضمنّه أولًا، لأنّ الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها "[2]. بمعنى أنّ اللّفظ عندما يكون على وزنٍ معيّن يحمل معنًى محدّدًا بمِقدار وزنه لكن إذا حدث وزيد في وزن اللّفظ جب أن ترافقه زيادة في المعنى، ومن أمثلة ذلك قولنا: خَشُنَ فهو يحمل معنى محدّدًا مناسب لوزنه وهو الخُشونة أو ولكن إذا زِدنا في وزنه بحيث يتحول من " فَعُلَ " إلى " اِفْعَوْعَلَ " و يتحول الفعل من " خشُنَ " إلى " اِخْشَوْشَنَ" صار معنى اللّفظ أعمق فبعدما كان محدودًا تحول إلى اخشِوشَان أي المُبالغة في الخُشونة[3].

النوع الثالث عشر: في عكس الظاهر

يحمل هذا النوع نفي وجود وتحقّق أمر ما وذلك بنفي صفة ما فيه بحيث يكون الظاهر نقي الصفة لكن الحقيقة هو نفي لوجود الموصوف بحدِّ ذاته، وفي ذلك يقول ابن الأثير: { وهو نفي الشيء بإثباته، وهو من مُستطرفات علم البيان، وذلك أنّك تذكر كلامًا

[1]– ابن الأثير، المثل السائر، ق2 ، ص 236.

[2]– المصدر نفسه، ص 241.

[3]– المصدر نفسه ، ص241.

يدلّ ظاهره أنّه نفي لصفة موصوف وهي نفي للموصوف أصلًا "[1]، فكما سبق وقلنا ففي هذا الموضع يقوم المتكلّم بنفي جزء يراد به الكلّ.

من الأمثلة التي أوردها ابن الأثير في شرحه لهذا النوع بيت شعري يقول فيه صاحبه واصفًا حياء النساء:

أدلَيْنَ جلبابَ الحياء فلن يُرى لذيولهنّ على الطّريق غبار

فظاهر الكلام أنّ النساء يمشين على استحياءٍ بحيث لا يُثرن الغبار أثناء مشيّهنّ ولكنّ باطنه أنّهنّ لا يخرجن أبدًا[2].

وحسب ابن الأثير فإنّ هذا النوع قليل الاستعمال لدى العرب وذلك لغياب أيّة قرينة تدلّ عليه[3].

النوع الرابع عشر: في الاستدراج

يقول عنها ابن الأثير: " هي مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال والكلام فيه وإن تضمّن بلاغة فليس الغرض ها هنا ذِكر بلاغته فقط، بل الغرض ذِكر ما تضمّنه من النُّكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتّسليم "[4]، أي هي كلّ ما يُدخله القائل في كلامه بغرض لفت انتباه السامع وإقناعه بما يقوله، وقد استشهد ابن الأثير فير حديثه عن هذا النّوع بقوله تعالى في سورة المؤمن: { وقال رجلٌ مؤمن من آل فرعون يكتمُ إيمانه أتقتلون رجلًا أن يقول ربّي الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربّكم وإن يكُ كاذِبًا فعليه

[1]– ابن الأثير: المثل السائر،ق2، ص 248.

[2]– يُنظر المصدر نفسه ، ص 250.

[3]– يُنظر المصدر نفسه، ص 249.

[4]– المصدر نفسه، ص 250.

كذبه وإن يكُ صادقًا يُصبكم بعض الذي يعدكم إنّ الله لا يهدي من هو مُسرفٌ كذّاب }[1]، ففي هذه الآية الكريمة من الحُجج التي تستدرج السامع الكثير؛ فالله عزّ وجلّ استخدم استفهام غير حقيقي من خلال قوله: " أتقتلون رجلا أن يقول ربّي الله " غرضه التعجب من تصرّف القوم، ثم قدّم حجة أخرى تتمثل في أنّ الكاذب كذبه يعود عليه فقط بينما الصادق فصدقه يعود على النّاس جميعًا بالنفع.

النوع الخامس عشر: في الإيجاز

الإيجاز هو الاختصار وهو عكس الإطناب وقد عرفه ابن الأثير على أنّه: " هو حذف زيادات الألفاظ، وهو من الكلام شريف لا يتعلّق إلّا بفرسان البلاغة... والنظر فيها يكون للمعنى وليس اللّفظ وهذا لا يعني إهمال الألفاظ ولكن هذا النوع يقوم على المعنى بالأساس " [2]، فابن الأثير تفطنّ إلى الحشو الذي يقع في كلام البعض بحيث تُستخدم عدّة ألفاظٍ للتعبير عن معنًى يُمكن التعبير عنه بألفاظ أقل.

حدّ الإيجاز: حسب ابن الأثير فإنّ حدّ الإيجاز هو دلالة اللّفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه، وهو على نقيض التطويل الذي هو الدلالة على معنًى ما بألفاظٍ يُمكن الاستغناء عن بعضها [3] ؛ أي أنّها مجرّد ألفاظ لا ضرورة لوجودها في الكلام إذ أنّ المعنى يتم دونها. ومن أمثلة التطويل قول أبي تمام:

إذا أنا لم ألم عثراتِ دهرٍ بُليتُ به الغَداة فمن ألوم [4]

فكما هو ملاحظ فالمعنى تام بمجرّد قولنا:

---

[1]– ابن الأثير، المثل السائر، ق2 ، ص 251.

[2]– يُنظر المصدر نفسه ، ص 255.

[3]–يُنظر المصدر نفسه، ص 259.

[4]– المصدر نفسه، ص 261.

إذا أنا لم أُلم عثرات دهرٍ بُليتُ به فمن ألوم

ومنه فلفظة " الغداة " مجرّد زيادة لا طائل منها.

وحسب ابن الأثير فإنّ ورود مثل هذه الزيادات في الشعر بغرض تصحيح الوزن لا يُعدّ عيبًا بل الأكثر من هذا فإن اعتبارها عيبًا يُعدّ تضييقًا على الشعراء، وهذا على نقيض النثر الذي يُعاب فيه الحشو واستخدام ألفاظ دون فائدة[1].

قِسما الإيجاز: ينقسم الإيجاز باعتبار وجود الحذف من عدمه إلى قسمين هما:

1- الإيجاز بالحذف: وهو ما يُحذف منه المُفرد والجملة، لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون إلّا فيما زاد معناه على لفظه[2]، فهذا القسم من الإيجاز يُحذف منه الحشو من الكلام مُفردًا كان أو جملةً لاستيفاء بقية الكلام المعنى المُراد. يشمل الحذف في هذا النّوع من الإيجاز الجمل الغير مفيدة كما قد يشملُ الجمل المفيدة وهو أرقى أنواع المحذوفات والتي لا نكاد نجدها إلا في القرآن الكريم[3].

2- الإيجاز الذي لا يُحذف منه شيء: سواءً مفردات أو جمل وهو على نوعين : الأول الإيجاز بالتقدير، وهو ما ساوى لفظه معناه[4]، أي أن تكون ألفاظه بقدر المعنى الّذي تعبر عنه ولا يُمكن الاستغناء عن أي لفظة منها.

أما النوع الثاني فهو الإيجاز بالقصر فهو ما زاد معناه على لفظه[5]، أي أن يكون المعنى المُعبّر عنه أكبر من الألفاظ الّتي تعبّر عنه، وهي على نوعين كذلك:

---

[1]- يُنظر ابن الأثير، المثل السائر، ق2، ص 262.

[2]- المصدر نفسه، ص 264.

[3]- يُنظر المصدر نفسه، ص 269.

[4]- يُنظر المصدر نفسه، ص 319 .

[5]- المصدر نفسه، ص 319 .

أحدهما ما يدلّ على مُحتملاتٍ متعدّدة يُمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه[1]، أي أن تحمل اللّفظة الواحدة عدّة معانٍ يعبر عنها بنفس عدّته الأولى.

بينما النوع الثاني هو ما يدلّ لفظه على محتملات متعدّدة، ولا يُمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدّتها[2]، أي أن يكون المرء مُجبرًا على التعبير عن المعنى المقصود باستعمال العديد من الألفاظ.

النوع السادس عشر: في الإطناب

عرّف ابن الأثير الإطناب فقال: " هو ضرب من ضروب التأكيد التي يُؤتى في الكلام قصدًا للمبالغة[3]، فالإطناب إذن هو المبالغة في إيراد المعاني.

حدّ الإطناب: هو زيادة اللّفظ على المعنى لفائدة[4]، ومنه فالإطناب ما تتحقق فيه الفائدة فهو على نقيض التطويل الذي يكون لغير فائدة.

قسّم ابن الأثير الإطناب إلى قسمين باعتبار المحلّ الذي يقع عليه :

1- القسم الأول: الذي يوجد في الجملة الواحدة من الكلام

قد يرد الإطناب في الجملة حقيقيةً أو مجازًا، أمّا الحقيقي فكقول البحتري:

تأمّل من خلال السَّجفِ وانظر بعينك ما شربتُ ومن سقاني

تجد شمسُ الضُّحا تدنو بشمسٍ إليّ من الرّحيق الخُسرُوَّاني[5]

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر، ق2، ص319.

[2]- المصدر نفسه، ص319.

[3]- المصدر نفسه، ص 242 .

[4]- المصدر نفسه، ص 244 .

[5]- المصدر نفسه، ص 246 .

يدخل قول البحتري: " أنظر بعينك " ضمن الإطناب الحقيقي فالرؤية تتم عبر العين والغرض من ذكرها كما سبق لنا القول هو التعظيم، فالبحتري أراد أن يعظّم شأن الساقي والخمر اللّذين شبّههما بالشمس فذكر العين.

بينما الإطناب المجازي فهو استخدام اللّفظة في غير محلّها كقول الله عزّ وجلّ في سورة الحج: { فإنّها لا تعمى الأبصار لكن تعمى القلوب التي في الصُّدور }[1]، فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية استخدم لفظة العمى في غير محلّها بحيث ربطها بالصدور بينما المتعارف عليه أنّ العيون هي التي تصاب بالعمى.

2- القسم الثاني: المختص بالجمل

يشتمل هذا القسم أربعة ضروب وهي:

الأول: أن يُذكر الشيء فيُؤتى فيه بمعانٍ متداخلة إلّا أنّ كلّ معنى يختصّ بخصّيصة ليست للآخر كقول أبي تمام :

زكيٌّ سجاياه تُضيف ضيوفه ويُرجى مرجِّيه ويُسأل سائله[2]

فأبو تمام هنا ذكر ممدوحه بصفاتٍ متعدّدة تدّل على الكرم مع وجود خواص تميّز كل معنى عن الآخر.

الثاني: يسمى النفي والإثبات وهو أن يُذكر الشيء على سبيل النفي، ثم يُذكر على سبيل الإثبات أو بالعكس، ولابد أن يكون في أحدهما زيادة ليس في الآخر[3]، أي أن تكون في الكلام الواحد نفي وإثبات متعاقبين كقوله تعالى في سورة التوبة: { لا يستأذنك الّذين يؤمنون

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر، ق2، ص 250.

[2]- المصدر نفسه، ص 352.

[3]- المصدر نفسه، ص 352 .

بالله واليومِ الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليمٌ بالمتّقين * إنّما يستأذنك الّذين لا يؤمنون بالله واليومِ الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريهم يتردّدون }[1]، فكما هو مُلاحظ فالله عزّ وجلّ افتتح هذه الآية الكريمة بنفيٍ حيث قال: " لا يستأذنك الذين آمنوا ..." ثم أتبعها بإثباتٍ بقوله: " إنّما يستأذنك الّذين لا يؤمنون..."، ففي هذه الآية الكريمة نفي متبوعٌ بإثبات أما الزيادة فهي موجودة في الآية الثانية بقوله تعالى: " وارتابت قلوبهم فهم في ريهم يتردّدون " فهذه الجملة موجودة في الجملة الثانية المُثبتة دون الجملة المنفية.

الثالث: هو أن يُذكر المعنى الواحد تامًا لا يحتاج إلى زيادة ثم يُضرب له مثال من التشبيه كقول البُحتري:

ذات حسنٍ لو استزادت من الحُ سنِ إليه ما أصابت مزيدا

فهي كالشمس بهجة والقضيب اللّ دن قدّا والرّيم طرفًا وجيدا[2]

فمعنى البيت كامل في البيت الأول وتام ولا يحتاج إلى زيادة ولكنّ التشبيه ورد للزيادة فقط ولتقريب الصورة لذهن السامع والقارئ.

الرابع: أن يستوفي معاني الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة ومثال ذلك قوله تعالى في سورة الرحمن: { فيه من كلّ فاكهةٍ زوجان }[3] فالله عزّ وجلّ جمع في قوله هذا جميع أنواع الفاكهة بأحسن الألفاظ.

النوع السابع عشر: في التكرار

عرّفه ابن الأثير على أنّه: " دلالة اللّفظ على المعنى مردّدا[1] أي أن يُكرّر اللّفظ الواحد ذو المعنى الواحد عدّة مرات وهو ينقسم إلى قسمين:

---

[1]– ابن الأثير، المثل السائر، ق2، ص 353.

[2]– المصدر نفسه، ص 354.

[3]– المصدر نفسه، ص 355.

1- القسم الأول: يوجد في اللّفظ والمعنى[2] أي أن يُكرّر نفس اللّفظ وبنفس المعنى في الجملة الواحدة كقولنا: أدخل أدْخل، وهو ينقسم إلى قسمين

1.1- المُفيد: بدوره ينقسم التكرار المفيد إلى ضربين أولهما:

* إذا كان التكرير في اللّفظ والمعنى يدلّ على معنى واحد والمقصود به عرضان مختلفان[3]. أي أن يتكرّر اللّفظ ذاته وبالمعنى ذاته مع الاختلاف في المقصود كقوله تعالى في سورة الكافرون : { قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابدٌ ما عبدتم * ولا انتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم وليَ دين }[4]، ففي هذه السورة تكرار ذو فائدة إذ أنّ قوله تعالى: " لا أعبد ما تعبدون " يقصد به المستقبل أي أنّه يستحيل أن يأتي يوم أعبد فيه آلهتكم بينما قوله: " ولا أنا عابد ما عبدتم " أي أنّه في الماضي كذلك لم يكن يعبد آلهتهم[5].

* إذا كان التكرار في اللّفظ والمعنى يدلّ على معنى واحد والمُراد به غرضٌ واحد، كقوله تعالى في سورة المدّثر: { فَقُتل كيف قَدّر * ثم قُتِل كيف قدّر }[6]، ففي هذه الآية وجود التكرار بنفس اللّفظ والدّال على نفس المعنى ولكنّه تكرار محمود غرضه التعجب من تقدّير الإنسان.

2.1- الغير مفيد: ومن أمثلة ذلك قول أبي نواس:

---

[1] -ابن الأثير ، المثل السائر، ق3، ص 3.

[2]- المصدر نفسه، ص 4.

[3]- المصدر نفسه، ص 5.

[4]- المصدر نفسه، ص 7.

[5]- يُنظر المصدر نفسه، ص7.

[6]- المصدر نفسه، ص 9.

أقمنا بها يومًا ويومًا وثالثًا ويومًا له يوم الترحُّل خامسُ[1]

فأبو نواس كرّر لفظة " اليوم " تكرارا فاحشًا لا فائدة تُرجى منه وكان في مقدوره أن يقول بشكلٍ مباشر أنّه قضى أربعة أيام في ذلك المكان.

2- القسم الثاني: التكرير في المعنى دون اللّفظ[2]، أي أن يكون المعنى واحد ولكن بصيّغ مختلفة كقولنا: أصمت لا تتكلم، فالألفاظ مختلفة ولكن المعنى واحد وهو الدعوة للسكوت وينقسم إلى قسمين:

1.2- المفيد وينقسم بدوره إلى نوعين:

* إذا كان التكرير في المعنى يدلّ على معنيين مُختلفين[3]، كقوله تعالى في سورة آل عمران: { ولتكُن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المُنكر }[4]، فرغم أنّ الظاهر للقارئ أنّ المعنى هو نفسه إلّا أنّ الكلام يحمل معنيين إذ أن الأمر بالمعروف جزء من الخير وليس الكلّ والدعوة إلى الخير أوسع من الأمر بالمعروف.

* إذا كان التكرير في المعنى يدلّ على معنى واحد لا غير[5] كأن نقول: نم ولا تستيقظ

فالمعنى في هذه الجملة مكرّر إذ أن النوم هو عدم استيقاظ.

2.2- الغير مفيد ومثال ذلك قول عنترة:

حُيّيت من طللٍ تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أمِّ الهيثم[6]

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر، ق3، ص 24.

[2]- المصدر نفسه، ص 25.

[3]-المصدر نفسه، ص 25.

[4]- المصدر نفسه، ص 27.

[5]- المصدر نفسه، ص 29.

[6]- المصدر نفسه، ص 39.

فالشاعر ها هنا قد كرّر لفظتي " أقفر وأقوى " من غير الضرورة لذلك.

النوع الثامن عشر: في الاعتراض

عرّفه ابن الأثير بكونه: " كل كلام أُدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقيَ الأول على حاله "[1]، أي أنّ حذف اللفظ المفرد أو المركب المضاف لا يؤثر على الكلام الأول، كقولنا: محمد نائم فالجملة متركبة من مبتدأ وخبره وإذا أدخلنا عليه لفظا مفردا بحيث يُصبح: محمد والله نائم فإن أزلنا اللّفظ فالكلام لا يتغيّر والمعنى يبقى تامًا، وإذا أدخلنا فيه لفظًا مركبًا بحيث يُصبح: محمد رغم كلّ هذه الفوضى نائم فإن حذفنا الإضافة " رغم كلّ هذه الفوضى " لا يتغيّر المعنى.

قسّم ابن الأثير الاعتراض إلى قسمين:

القسم الأول: وهو الذي يأتي في الكلام لفائدة[2]، كقوله تعالى في سورة النحل: { ويجعلون لله البنات – سبحانه – ولهم ما يشتهون }[3]، فلفظة " سبحانه " وردت هنا بغاية تنزيه الله عزّ وجلّ من الصفات البشرية.

القسم الثاني: وهو الذي يأتي في الكلام لغير فائدة وقد قسمه ابن الأثير إلى قسمين[4]: الضرب الأول: يكون دخوله في الكلام كخروجه منه لا يكتب به قبحًا ولا حُسنًا ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

سئمتُ تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً – لا أبا لك – يسأم[5]

---

[1]– ابن الأثير، المثل السائر، ق3،ص 40.

[2]– المصدر نفسه ، ص 41.

[3]– المصدر نفسه ، ص 42.

[4]– المصدر نفسه، ص 46.

[5]– المصدر نفسه، ص 47.

فالجملة الاعتراضية " لا أبا لك " ليس لها أيّ تأثير على بقية الكلام.

الضرب الثاني: وهو الذي يؤثر في الكلام نقصًا وفي المعنى فسادًا[1] كقول أحدهم:

نظرت وشخصي – مطلع الشمسِ – ظلّه إلى الغرب حتى ظلّه الشمس قد عقل[2]

فالجملة الاعتراضية " مطلع الشمس " لو تُحذف من البيت الشعري تترك فراغًا و يُفسد معنى البيت.

النوع التاسع عشر: في الكناية والتعريض

أولًا: الكناية

عرّفها ابن الأثير على أنّها: "كلّ لفظة دلّت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز، والدليل على ذلك أنّ الكناية في أصل الوضع أن تتكلّم بشيء وتريد غيره "[3] ومن ذلك قول امرئ القيس في معلقته:

وقد أغتدي والطّير في وكناتها بمُنجردٍ قيد الأوابد هيكل

فقول امرئ القيس " والطير في وكناتها " كناية عن التبكير فالجملة السابقة محمولة على الحقيقة والمجاز في آن، ومن الكنايات ما يحسُن استعماله ومنها ما يُعاب إيراده ويُعتبر فُحشًا وهي في ثلاثة أقسام هي:

1- التمثيل: أن تراد الإشارة إلى معنى فيوضع لفظٌ لمعنى آخر، ويكون ذلك مثالًا للمعنى الّذي أريد الإشارة إليه كقولنا: " فلانٌ نقيّ الثوب " أي منّزه عن العيوب[4]، استعملنا في هذا

---

[1]- ابن الأثير: المثل السائر،ق3، ص 47.

[2]- المصدر نفسه، ص 48.

[3]- المصدر نفسه،ص 52.

[4]- المصدر نفسه، ص 58.

المثال لفظة " نقي الثوب " التي تحمل معنى النظافة للتعبير عن معنى مختلف هو صفاء النية والأخلاق.

2- الإرداف: هو أن تراد الإشارة إلى معنى فيوضع لفظ لمعنى آخر، ويكون ذلك إردافا للمعنى الذي أُريدت الإشارة إليه ولازما له[1] كقولهم: فلان طويل النّجاد أي طويل القامة فطول النّجاد مرتبط بطول القامة، وهو على نقيض القسم الأول الذي ربط فيه القائل بين نقاء الثوب والتنّزه من العيوب إذ ليس كلّ من كان نقي الثوب منّزه عن العيوب[2].

3- المُجاورة: أن تريد ذِكر الشيء فتتركه إلى ما جاوره كقول عنترة:

بزجاجةٍ صفراء ذات أسرّةٍ قُرنت بأزهر في الشّمال مُفدّم [3]

فعنترة في هذا البيت الشعري كنّى عن الخمر بالزجاجة لأنّها مُجاورة لها، هذا وقد رفض ابن الأثير هذا التقسيم وحجته في ذلك أنّ التقسيم يكون على أساس خصوصيات تميّز قسمًا عن آخر وهو مالا يتوفر في هذا التقسيم[4].

ثانيًا : التعريض

عرّفه ابن الأثير بقوله: " هو اللّفظ الدّال على الشيء عن طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي "[5]، أي أن تستخدم لفظًا حقيقيا للدلالة على شيءٍ يُفهم من خلال مفهوم الألفاظ المُستعملة كقولنا: لا أحد بي يهتم وجودي بينكم لا يَفرق عن غيابي، فهذه الألفاظ استخدمت استخدامًا حقيقيا و هو عبارة عن طلب لم يتّم التصريح به ولكن يُفهم من المفهوم أنّه طلب اهتمام، ومن الأمثلة التي أوردها ابن الأثير عن التعريض قوله تعالى في سورة

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر،ق3، ص58.

[2]- يُنظر المصدر نفسه، ص58.

[3]- المصدر نفسه، ص 58.

[4]- يُنظر المصدر نفسه، ص 59.

[5]- المصدر نفسه، ص 56.

الأنبياء:{ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون }[1]، فإبراهيم عليه السلام لم يكن ينتظر إجابة الأصنام على سؤاله ولا تبرئة ذمته من تهمة تحطيم الأصنام لكن غرضه كان الاستهزاء بآلهة قومه التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع.

أشار ابن الأثير إلى بعض الفروقات الموجودة بين الكناية والتعريض منها أنّ دلالة الكناية تكون في اللّفظ من جهة المجاز وتشمل اللّفظ المركب والمفرد بينما تكون دلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالحقيقي ولا المجازي ولا يكون سوى في اللّفظ المركب[2].

النوع العشرون: في المُغالطات المعنوية

أن يُذكر معنى من المعاني له مثلٌ في شيءٍ آخر ونقيض، والنقيض أحسنُ موقعًا وألطف مأخذًا[3] وهو على قسمين أحدهما أن يكون له مثلٌ يقع في الألفاظ المُشتركة ومن ذلك قول أبي العلاء المعري في الإبل:

صُلب العصا بالضّرب قد دمّاها تودّ أنّ الله قد أفناها

إذا أرادت رشــدًا أغواها مِحاله من رقه إياها[4]

فلفظة الضرب مُشتركة بين معنيين مختلفين أحدهما الضرب بالعصا والآخر الضرب على الأرض، وكذلك الأمر بالنسبة للفظة " دماها " فهي تدلّ على إراقة الدم وعلى جعل الشيء دمية في الوقت ذاته، ونفس الأمر بالنسبة للفظة " الفناء " الدالّة على الزوال والنهاية وعلى عنب الثعلب في آن، أما في البيت الثاني فقد وردت المُغالطة المعنوية في لفظتي " رشدا " التي تعني طلب الهداية و طلب النبتة في الوقت عينه، و كذا لفظة " أغواها " التي تدلّ على

[1]– ابن الأثير، المثل السائر، ق3، ص 72.

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص 57.

[3]– يُنظر المصدر نفسه، ص 76.

[4]– المصدر نفسه، ص 78.

الغِواية أي الضلالة و كذلك إطعام الغوى إذ أنّ الغوى والرّشد نبتتان[1]، هذا فيما يخص المُغالطة بالمثل أما المغالطة بالنّقيض فكقول أحدهم:

وما أشياء تشريها بمالٍ فإن نفقت فأكسد ما تكون[2]

في هذا البيت جمع الشاعر بين نقيضين هما " النفوق " و" الكساد " إذ أنّ النفوق تُستعمل للدلالة على رواج السلعة في الأسواق وتُستخدم كذلك للدلالة على موت الحيوان، والكساد تدلّ على عدم رواج السلعة فجمع بين النقيضين الرواج والكساد وجعل الرواج سببًا في نقيضه " الكساد "[3].

النوع الحادي والعشرون: في الأحاجي

وهي الأغاليط من الكلام، وتسمى الألغاز جمع لغز، وهو الطريق الذي يلتوي ويشكل على سالكه[4]، فالأحجية هي الكلام الذي يتطلّب إعمال العقل لفك شفراته إذ أنّه غير مرتبط بالحقيقة ولا المجاز.

أشار ابن الأثير لوجود تداخل وخلط بين الأحاجي والكناية وبين الأحاجي والمغالطات المعنوية وكذا التعريض مؤكدًا أنّ الأحاجي نوع مختلف عمّا سبقه إذ أنّه وعلى نقيض الكناية والمغالطة المعنوية فهو غير مرتبط بالحقيقة والمجاز ولا يُدرك بالمفهوم على غِرار التعريض[5].

أورد ابن الأثير مقطعًا من مقامات الحريري والذي تضمّن أحجية على شكل مسألة فِقهية:

---

[1]– ابن الأثير، المثل السائر، ق3، ص 79.

[2]– المصدر نفسه، ص 82.

[3]– يُنظر: المصدر نفسه، ص 82.

[4]– المصدر نفسه، ص 84.

[5]– المصدر نفسه، ص 85.

ولي خالةٌ وأنا خالها ولي عمّةٌ وأنا عمّها

فأما التي أنا عمٌّ لها فإنّ أبي أمّه أمّها

أبوها أخي وأخوها أبي ولي خالةٌ هكذا حُكمها

فأين الفقيه الّذي عنده فنون الدِّراية أو عِلمها

يُبيِّن لنا نسبًا خالصًا ويكشفُ للنفس ما همُّها[1]

فالأبيات السابقة الذِكر عبارة عن أُحجية وحلّها يتطلّب إعمال العقل لفك غموضها بعيدًا عن الحقيقة والمجاز وهو ما فعله ابن الأثير الذي حلّ الأُحجية وِفق ما يلي:

بالنسبة لصدر البيت الأول الذي قال فيه الحريري: " لي خالة وأنا خالها " فحقيقته أنّ رجلًا تزوج امرأتين عائشة وفاطمة، وُلِد لعائشة بنت ولفاطمة ابن، ثم زوّج ابنته من والد زوجته فاطمة فأنجبت بنتًا، فتلك البنت هي خالة ابنه لأنّها شقيقة أمه وهو خالها لأنّه شقيق أمها، أما قوله: " ولي عمّة وأنا عمها " فحكمه أنّ رجلًا له أخٌ من أمه فزوّج أخاه من جدّته من جهة أبيه وأنجب منها بنتًا، فتلك البنت هي عمّته لأنّها شقيقة أبيه وهو عمّها لأنّه شقيق والدها، أما بالنسبة لقوله: " ولي خالة هكذا حُكمها " فمعنى ذلك أنّ له خالةٌ حُكمها كحُكم أبيها، فأُمها أخته وأختها أمه وصورتها أنّ رجلًا له أخت من أبيه فزوّج أخته من جدّه من جهة أمه وأنجبت بنتًا، فتلك البنت خالته لأنّها شقيقة أمه وهو خالها لأنّه شقيق أمها[2].

[1]– ابن الأثير، المثل السائر،ق3 ، ص 89.

[2]– يُنظر: المصدر نفسه ص89.

النوع الثاني والعشرون: في المبادئ والافتتاحات

حقيقته: أن يُجعل مطلع الكلام في الشعر أو الرسائل دالًّا على المعنى المقصود من هذا الكلام إن كان فتحًا ففتحًا، وإن كان هناءً فهناءً...[1]، أي أن يُفهم من مطلع الكلام المعنى المُراد إيراده في بقية الكلام هل هو تهنئة بفرح أو تعزية بمصاب جلل أو غزل. والقاعدة في الافتتاح أن يفتتح الكاتب أو الشاعر كلامه بافتتاح يتناسب مع مضمون الكلام فلا يُفتتح الرثاء ولا الهجاء بغزل وكذلك القصائد التي تصف المعارك والحروب، إذ أنّ طبيعة الغزل التي تتميّز بالرقة والمشاعر الجيّاشة لا تتناسب مع الرثاء ولا الحروب التي تعكس العنف والقسوة وهذا على نقيض المدح والفخر الذي يتناسب مع الغزل[2]. ومن بين الافتتاحات المُستحبة ما ورد في افتتاحات السور القرآنية التي كثيرًا ما تُفتتح بالنداء مثل سورة النساء المُفتتحة بقوله تعالى: { يا أيُّها النّاس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفسٍ واحدة } فكما هو معروف فالنداء يلفت الانتباه، وكذا الابتداءات بالحروف مثل: الم و حم و طس...[3]، أما في الشعر فتُعتبر افتتاحيات امرئ القيس من أفضل الافتتاحات كافتتاحية معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللّوى بين الدَخول فحومل

وكذا قوله: ألا عِمتَ صباحًا أيّها الطّلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي[4]

فهاذين البيتين يتميزان بالرّقة ولطف الألفاظ وهو ما دفع ابن الأثير إلى اعتبارهما من أحسن الافتتاحات، وخاصة البيت الثاني الذي ابتدأه بالتصبيح على الطلل كما لو أنّه من البشر.

---

[1]– يُنظر ابن الأثير، المثل السائر، ق3 ، ص 96 .

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص 97 .

[3]– يُنظر المصدر نفسه، ص 98 .

[4]– يُنظر المصدر نفسه، ص 99 .

النوع الثالث والعشرون: في التخلّص والاقتضاب

أولاً: التخلّص

هو أن يأخذ مؤلّف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الأول سببًا إليه، فيكون بعضه آخذًا برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلامًا آخر، بل يكون جميع كلامه كأنّما أُفرِغ إفراغًا وهي من الأمور التي تعكس لنا قدرة الشاعر وحذقه، ذلك أنّه يكون مجبرًا على اختيار ألفاظٍ تناسب الوزن والقافية مما يُصعِب مهمته وهذا على نقيض الناثر الذي يسهُلُ عليه التخلص لأنّه غير مقيّد بوزنٍ ولا قافية[1]، وبعبارة أبسط هو أن ينتقل مؤلّف الكلام من موضوع إلى موضوع دون إحداث خلل في الكلام ودون أن يُحس السامع بالانتقال.

ومن ألطف التخلّصات حسب ابن الأثير قول أبي تمام:

خُلُقٌ أطلّ من الربيع كأنّه خُلُق الإمام وهديه المتيسِّر

في الأرض من عدلِ الإمام و عدله ومن النّبات الغضّ سُرجٌ تُزهِرُ

تنسى الرياضُ وما يُروِّض جوده أبدًا على مرِّ الليالي يُذكر [2]

ففي هذه الأبيات أحسن أبو تمام التخلّص بحيث انتقل من وصف الربيع إلى المدح دون إحداث خلل أو تحسيس للقارئ بالانتقال الحاصل.

[1]– يُنظر ابن الأثير،المثل السائر، ق3 ، ص 121.

[2]– المصدر نفسه، ص 122.

ثانيًا: الاقتضاب

هو قطع الكلام واستئناف كلام آخر غيره بلا علاقةٍ تكون بينهما، وقد أجمع العلماء على أنّه " أما بعد " حيث يفتتح المتكلم كلامه بالحمد والتسبيح ثم يقول: أما بعد والتي يستعملونها بابًا للدخول للموضوع المُراد الحديث عنه[1].

يرى ابن الأثير أنّ أحسن الاقتضاب ما كان الفصل بينها بلفظة " هذا " بحيث يتحدث عن موضوع ما فيقول:"هذا و..." ليدخل في موضوعٍ جديد، ومن الاقتضاب الوارد في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة ص: { واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيد والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكر الدار وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار * واذكر إسماعيل واليسع و ذا الكفل وكلٌّ من الأخيار * هذا ذِكرٌ وإنّ للمتقين لحسن مآب * جنات عدنٍ مفتَّحة لهم الأبواب }[2]، ففي هذه الآية الكريمة قطع الله عزّ وجلّ حديثه عن الأنبياء والرُسل وانتقل للحديث عن الجنة فاصلًا بين الحديثين بلفظة " هذا ".

نظرًا لصعوبة التخلص والذي لا يفقهه إلّا الشعراء المجيدون فهو قليل جدّا مقارنة بالاقتضاب الذي يكثر في الشعر نظرا لسهولته[3].

[1]- يُنظر: ابن الأثير،المثل السائر،ق3، ص 139.

[2]- المصدر نفسه، ص139.

[3]- يُنظر: المصدر نفسه ، ص 141.

النوع الرابع والعشرون: في التناسب بين المعاني

ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

القسم الأول في المطابقة: وهذا النوع يُسمَّى البديعَ أيضًا، ويكون في المعاني، هذا وقد أجمع علماء البيان أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضدّه[1]، كالجمع بين الشرق والغرب و بين الأدنى والأعلى...

يرى ابن الأثير أنّ الأجدر بنا تسمية الطِباق بالمقابلة لأنّه عبارة عن مقابلة شيءٍ بشيءٍ آخر سواءً كانت المقابلة بنقيضه أو غيره[2].

أولًا: مقابلة الشيء بضده: ومن ذلك الأسود والأبيض فهما متضادين وكذا المشرق والمغرب، وقد قسمه ابن الأثير إلى نوعين:

الأول: مقابلة في اللّفظ والمعنى كقوله تعالى في سورة التوبة:{ فليضحكوا قليلًا وليبكوا كثيرًا }[3] ففي هذه الآية الكريمة مقابلة بين الألفاظ : " يضحك ويبكي، وبين قليلًا وكثيرًا " وبين المعاني كذلك.

أما النوع الثاني فهو: المقابلة في المعنى دون اللّفظ ومن ذلك قول المُقنّع الكغدي:

لهم جلُّ مالي إن تتابع لي غِنًى وإن قلَّ مالي لم أكلِّفهم رِفدا

في هذه الأبيات اعتمد الشاعر على المقابلة بين المعاني، ففي قوله " تتابع لي غنًى " إشارة إلى كثرة ماله وهي نقيض قوله " قلّ مالي"[4].

---

[1]– يُنظر ابن الأثير، المثل السائر، ق3، ص 143.

[2]– يُنظر المصدر نفسه، ص 144.

[3]– المصدر نفسه، ص144.

[4]– يُنظر المصدر نفسه، ص 151.

ثانيًا: مقابلة الشيء بما ليس بضده: وهو ضربان، الأول: أن لا يكون مثلًا[1] أي أن لا يكون الكاتب أثناء مقابلاته بضرورة تماثل المتقابلين،هذا وقد تكون بين المقابل والمقابل علاقة وتقارب كقوله تعالى في سورة الفتح: { أشدّاءُ على الكفار رحماءُ بينهم }[2]، في هذه الآية قابل الله عزّ وجلّ بين الشدّة والرحمة رغم أنّهما ليستا متضادتين ولكن لعلاقة السببية الموجودة بين اللّين التي هي ضدّ الشدّة وبين الرحمة، كما قد لا تكون بين المقابل والمقابل علاقة وهو مما يُعاب استعماله[3] كقول المتنبي :

لمن تطلب الدنيا إذا لم تُرد بها سرور محب أو إساءة مجرم[4]

في هذه الأبيات قابل المتنبي بين شيئين بعيدين ولا تربطهما علاقة وهما " المحب والمجرم" في حين أنّ مقابلها الصحيح هو المُبغض أو الكاره.

أما الضرب الثاني فهو مقابلة الشيء بمثل: كمقابلة المفرد بالمفرد[5] نحو قوله تعالى في سورة "ص": { وهل أتاك نبأُ الخصمِ إذ توّروا المحراب* إذ دخلوا على داود ففزع منهم* قالوا لا تخف* خصمان* بغى بعضنا على بعضٍ }[6]، في هذه الآية الكريمة قابل الله عزّ وجلّ بين " الفزع " و " الخوف " مقابلة معنوية إذ أنّ الألفاظ مختلفة والمعنى واحد هو الجزع. مقابلة الجملة بالجملة ومن ذلك قوله تعالى في سورة سبأ: { قل إن ضللتُ فإنّما أضلُّ على نفسي* وإن اهتدَيتُ فبما يوحى إليّ ربي }[7] فإنّ هنا مقابلة معنوية بين الآية الأولى والثانية. القسم الثاني في صحة التقسيم وفساده: يُراد بالتقسيم هاهنا ما يقتضي المعنى وجوده بحيث

---

[1]- ابن الأثير: المثل السائر، ق3، ص 151.

[2]- المصدر نفسه، ص 152.

[3]- يُنظر المصدر نفسه، ص152.

[4]- المصدر نفسه، ص 153.

[5]- المصدر نفسه، ص 159.

[6]- المصدر نفسه، ص 160.

[7]- المصدر نفسه، ص 162.

يُذكر كلّ قسم لذاته دون إشراكه بغيره، ويكون التقسيم بلفظة إما أو بـ بين نحو قولنا : بين كذا وكذا وقد يكون التقسيم بالأعداد كقولنا: فانشعب القوم شعبًا أربعة ثمّ يفصل في تلك الشعب[1]، ومن ذلك قوله تعالى في سورة فاطر: { ثم أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا* فمنهم ظالمٌ لنفسه* ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات }[2]فالله عزّ وجلّ قسّم الناس إلى ثلاثة أقسام وفرّق بينهم بلفظة " بينهم ".

ومن التقسيمات التي أعابها ابن الأثير قول البحتري :

قف مشوقًا أو مسعدًا أو حزينًا أو معينًا أو عاذرًا أو عذولًا

فابن الأثير عاب على البحتري تقسيمه نظرًا للتداخل الحاصل بينهم فالمشوق يكون حزينًا والمسعد معينًا ...فما ذكره البحتري هنا هي أحوال لما سبقها[3].

القسم الثالث في ترتيب التفسير وما يصح من ذلك وما يفسد: والأصح في ترتيب التفسير أن يُذكر تفسير المُقدّم فالمؤخّر وهو الأحسن، نحو قوله تعالى في سورة الإسراء: { وجعلنا اللّيل والنهار آيتين فمحونا آية اللّيل وجعلنا آية النهار مبصرةً }[4]، ففي هذه الآية التزم الله عزّ وجلّ في تفسيره بالترتيب بحيث ذكر المُقدّم فالمُؤخر، غير أنّه وردت في القرآن الكريم بعض الآيات التي لم يُراع فيه هذا الترتيب كقوله تعالى في سورة آل عمران : { يوم تبيضُّ وجوه وتسودّ وجوه* فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون* وأما الّذين ابيضّت وجوههم } فقدّم المؤخِّر وأخِّر المقدّم[5].

---

[1]- يُنظر: ابن الأثير، المثل السائر، ق3، ص 167.

[2]- المصدر نفسه، ص167.

[3]- يُنظر المصدر نفسه، ص 171.

[4]- المصدر نفسه، ص 174.

[5]- يُنظر: المصدر نفسه، ص 173.

النوع الخامس والعشرون: في الاقتصاد والتفريط والإفراط

يتواجد الإفراط والتفريط والاقتصاد في كلّ مناحي الحياة من علمٍ وصناعةٍ وخُلُقٍ[1]، فهذه الأمور لا تقتصر على الأدب فقط بل تتعداه لتشمل كلّ مناحي الحياة الإنسانية من أعمال ومشاعر وأخلاق.

أولا: التفريط

وهو التقصير والتصنيع أي الإهمال والترك، وهي من المعاني الخِطابية القبيحة والتي لا يجوز استعمالها[2]لما فيها من تقصير من طرف الشاعر في إيراد المعاني القوية، كقول الفرزدق:

ألا ليتنا كنّا بعيرين لا نرد على حاضرٍ إلا نُشلُّ ونُقذفُ

كلانا به عرٌّ يُخاف قِرافُه على الناس مطليٌّ المشاعرِ أخشفُ[3]

فالفرزدق هنا أراد التغزّل بحبيبته فتمنى لو أنّهما كانا بعيرين أجربين يُطردان إذا أرادا الشرب ويتحاشى الجميع قربهما خشية أن ينقلا لهم المرض، وبهذا يستفرد بحبيبته لنفسه، غير أنّه أخفق في تصوير ذلك وقبُح قوله.

[1]- يُنظر ابن الأثير، المثل السائر،ق3، ص 177.

[2]- يُنظر المصدر نفسه، ص 178.

[3]- المصدر نفسه، ص 179.

ثانيًا: الإفراط

هو الإسراف وتجاوز الحد[1] أي التبذير، هذا وقد انقسم علماء البيان بين مستحسنٍ للإفراط وذامٍ له غير أنّ ابن الأثير انتصر له واستحسنه ودعا إلى استعماله لأنّه يرى أنّ أحسن الشعر أكذبه[2]، ومن أمثلة الإفراط قول أبي نواس:

وأخفتَ أهل الشرك حتى إنّه لتَخافك النُّطف التي لم تُخلق[3]

ففي هذه الأبيات إفراط ومبالغة بحيث جعل النُّطف تخاف منه.

ثالثًا: الاقتصاد

هو التوسط بين الإفراط والتفريط أي الاعتدال، ومثال ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: { يكاد البرق يَخطف أبصارهم }[4].

ومن ذلك قول الفرزدق:

يكاد يُمسكه عرفان راحته رُكن الحطيم إذا ما جاء يستلِمُ[5]

النوع السادس والعشرون: في الاشتقاق

يرى ابن الأثير أنّ التجنيس أمرٌ عام ينضوي تحته الاشتقاق وهو مأخوذٌ من جانس الشيء الشيءَ أي أنّه ماثله[6]، والتجنيس ينقسم إلى قسمين : تجنيس في اللّفظ وهو ما تحدثنا عنه

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر، ق3، ص 178.

[2]- يُنظر المصدر نفسه، ص 191.

[3]- المصدر نفسه، ص 192.

[4]- المصدر نفسه، ص 194.

[5]- المصدر نفسه، ص 195 .

[6]- يُنظر المصدر نفسه، ص 195.

في باب الصناعة اللّفظية، وتجنيس متعلِّقٌ بالمعنى والذي تم نقله من التجنيس وسميّ بالاشتقاق وهو على ضربين[1]:

اشتقاق صغير : وهو أن تأخذ أصلًا من الأصول فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه[2]، ومعنى هذا أن تأخذ لفظةً ما وتستخرج منها عدّة ألفاظ يجمعها أصلٌ واحد رغم اختلاف بنائها وتتفق في المعنى العام لها، ومثال ذلك تركيب (س ل م) نأخذ منها السلامة وسالم وسليم وسلم وهي الألفاظ التي تتفق جميعها في المعنى العام وهو السلامة[3].
اشتقاق كبير: هو أن تأخذ أصلًا من الأصول فتعقد عليه وعلى راكبيه معنى واحدا يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها[4]، ومعنى هذا أن يُقلّب الأصل الواحد على عدّة وجوه دون أن يتغيّر معناه، ومن أمثلة ذلك لفظة (ق م ر) لها ست تراكيب : قمر، قرم، مرق، مقر رقم، رمق فهذه الألفاظ جميعها تدلّ على معنىً واحد هو القوة والشدّة[5].

النوع السابع والعشرون: في التضمين

وهو أن يُدخل المتكلّم في كلامه كلام شخصٍ آخر سواءً كان شعرًا أو حِكمةً أو حديثًا شريفًا أو آية قرآنية وينقسم إلى قسمين:

التضمين الحَسن: يُضمّن الآيات والأحاديث النبوية و به يكتسب الكلام طلاوة وهو على وجهين : تضمين كلّي وتضمين جزئي، أما الكلّي فهو أن تُذكر الآية والخبر بجملتهما[6] أي أن يصرّح المتكلّم بالآيات والأخبار الواردة في كلامه، بينما التضمين الجزئي أن تُدرج بعض

---

[1]- يُنظر ابن الأثير: المثل السائر،ق3، ص 196.
[2]- المصدر نفسه، ص196.
[3]- يُنظر المصدر نفسه، ص196.
[4]- المصدر نفسه، ص 198.
[5]- يُنظر المصدر نفسه، ص198.
[6]- يُنظر المصدر نفسه ، ص 200.

الآيات والأخبار ضمن الكلام فيكون جزءا منه[1]، أي أن يورد المتكلّم في كلامه آية ما أو خبرا بحيث يكون جزءا منه دون تصريح به.

التضمين المُعيب: هو تضمين الإسناد، وذلك يقع في بيتين من الشعر أو فصلين من الكلام المنثور، على أن يكون الأول منهما مُسندًا إلى الثاني[2]، أي أن يتعلّق معنى البيت الأول من الشعر أو الفصل من الكلام بما يليه ولا يتّم معناه إلا به.

يرى ابن الأثير أنّ تعلّق البيت من الشعر بما يليه ليس مما يعيب الشعر إذ أنّ لا فرق بين ارتباط البيتين من الشعر ببعضهما البعض و بين ارتباط الفقرتين من الكلام المنثور، إذ أنّ كليهما لفظٌ مقفى دالّ على معنى والفرق بينهما يكمن في الوزن الذي يوجد في الشعر دون النثر، والفقر المسجوعة الدّالة على معنى موجودة في القرآن الكريم وهو ما ينّزهها من العيب[3].

ومن أمثلة ارتباط البيت من الشعر بما يليه قول امرئ القيس:

فقُلتُ له لمّا تمطّى بصلبه وأردف أعجازًا وناء بكلكلِ

ألا أيّها اللّيل الطويل ألا انجلي بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ[4]

فالبيت الأول لا يُفهم معناه إلا إذا ربطناه بالبيت الثاني الذي يُزيل الغموض عنه.

[1]– يُنظر ابن الأثير، المثل السائرق3، ص 200.

[2]– المصدر نفسه، ص 201.

[3]– يُنظر المصدر نفسه، ص201.

[4]– المصدر نفسه، ص 202.

النوع الثامن والعشرون: الإرصاد

أن يبني الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له، أي أعدّها في نفسه فإذا أنشد صدر البيت عرف ما يأتي في قافيته[1]، أي أن نعرف قافية البيت الشعري بمجرّد قراءتنا لما سبقها في صدر البيت أو بداية العجز، ومن ذلك قول النابغة:

فداءٌ لامرئ سارت إليه بعِذرة ربّها عمّي وخالي

ولو كفى اليمين بغتك خونًا لأفردتُ اليمين عن الشمال[2]

فالقارئ للبيت الأول وصدر البيت الثاني يكتشف مباشرة قافية البيت الثاني وهو المعني بالإرصاد.

هذا في الشعر أما في النثر فمن أمثلة الإرصاد فيه قوله تعالى في سورة العنكبوت: { فمنهم من أرسلنا عليهم حاصبا* ومنهم من أخذتهم الصّيحة* ومنهم من خسفنا به الأرض* ومنهم من أغرقنا* وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون }[3]، فالقارئ بمجرّد قراءته لقوله تعالى :" وما كان الله ليظلمهم " يعرف تتمة الآية.

النوع السادس والعشرون: في التوشيح

هو أن يبني الشاعر أبيات قصيدته على بحرين مختلفين، فإذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعرًا مستقيما من بحر على عروض، وإذا أضاف إلى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضًا شعرًا مستقيما من بحر آخر على عروض، وصار ما يُضاف إلى القافية الأولى من البيت كالوشاح[4]، وهذا نحو قول الحريري في إحدى مقاماته:

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر،ق3، ص 206.

[2]- المصدر نفسه، ص 206.

[3]- المصدر نفسه، ص 207.

[4]- المصدر نفسه، ص 216.

يا خاطب الدّنيا الدّنيّـة إنّـــها شرك الردى وقرارة الأكدار

دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غداً بُعدًا لها من دار

وإذ أظلّ سحابــها لم ينتـــــقـع منه صدًى لجهامه الغّرار[1]

النوع الثلاثون: في السرقات الشعرية

أشار ابن الأثير في حديثه عن السرقات إلى أمورٍ لم يسبقه إليها أحد من قبل – حسب ادعاءاته – وهي الأمور التي تطرّق إليها في الأقسام الخمسة للسرقات:

أولًا: النسخ

يكون في أخذ المعنى واللّفظ جميعًا، أو في أخذ المعنى وأكثر اللّفظ[2] أي أن يأخذ المتكلّم كلام غيره كما هو بمعناه أو أن يأخذ المعنى كاملًا مع تغيير طفيف في بعض اللّفظ وهو ضربان:

الأول: يسمى وقوع الحافر على الحافر، كقول امرئ القيس :

وقوفًا بها صحبي على مطِيّهم يقولون لا تهلك أسًى وتجمّلِ

وقول طرفة العبد:

وقوفًا بها صحبي على مطِيّهم يقولون لا تهلك أسًى وتجلَّدِ[3]

[1]– ابن الأثير: المثل السائر، ق3 ، ص 217.

[2]– المصدر نفسه، ص 230.

[3]– المصدر نفسه، ص230.

ففي هذين البيتين نلاحظ اتفاقهما التام في معنى البيتين وألفاظهما مع اختلافٍ طفيف في قافية البيتين وهو المقصود بوقوع الحافر على الحافر أي اتفاق البيتين في اللّفظ والمعنى.
أما الضرب الثاني: الذي يؤخذ فيه المعنى وأكثر اللّفظ، كقول أحدهم في مدح معبد:

أجاد طُوَيْسٌ والسُّرنجيُّ بعده وما قصباتُ السَّبق إلا لمعبد

ثم قال أبو تمام:

محاسنُ أصنافِ المغنين جمّة وما قصباتُ السَّبقِ إلا لمعبد [1]

نلاحظ في هذين البيتين اتفاقهما في المعنى مع اختلاف في ألفاظ صدر البيتين.

ثانيًا: السلخ

أورد ابن الأثير هذا القسم في اثني عشرة قسمًا متمثّلةً في:

1- أن يؤخذ المعنى ويُستخرج منه ما يشبهه ومن ذلك قول أحد الشعراء:

لقد زادني حبًّا لنفسي أنني بغيض إلى كلِّ امرئ غيرِ طائلِ

وهو المعنى الذي أخذه المتنبي واستخرج منه بيتًا آخر يشبهه فقال:

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأنّي فاضل

وقد اعتبر المتنبي هذا الضرب من أدق السرقات وأحسنها صورة[2]

فالشاعر الأول قد زاده بُغض الذي لا يستطيع أن يطاله حبًّا لنفسه والمتنبي يرى أنّ ذم الناقص له شهادة بكونه فاضل، هذا ويرى ابن الأثير أنّ معرفة البيت الأصلي من البيت

[1]- ابن الأثير، المثل السائر، ق3، ص 233.
[2]- يُنظر المصدر نفسه، ص 234.

المنسوخ من الأمور التي يصعب على القارئ العادي اكتشافها ولا يُدركها إلا المتبحر في الشعر[1].

2- أن يُؤخذ المعنى مجردا من اللّفظ ومن ذلك قول عروة بن الورد:

ومن يكُ مثلي ذا عيالٍ ومقْترًا من المال يطرح نفسه كلّ مطرح

ليبلغ عذرًا أو ينال رغيبةً ومُبلِغُ نفسٍ عُذرها مثل مُنجـح

أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال :

فمتى مات بين الضّرب والطعن ميتةً تقوم مقام النّصر إذا فاته النّصر[2]

فعروة بن الورد اعتبر السعي وراء توفير الرزق لعائلته بمنزلة تحقيق النجاح، وهذا على غِرار أبي تمام الذي اعتبر الموت في ساحة الحرب تقوم مقام النّصر.

3-- هو أخذ المعنى ويسير من اللّفظ وهو من أقبح السرقات[3]، ومن ذلك قول البحتري:

جاد حتى أفنى السؤال فلما باد منّا السؤال جاد ابتداء

أخده من علي بن جبلة :

أعطيت حتى لم تدع لك سائلًا وبدأت إذ قطع العُفاة سؤالها[4]

ففي هذا البيت أخذ البحتري معنى قول علي بن جبلة وهو أنّ الممدوح أعطى حتى لم يبق سائل يمدّ يده إليه فأعاد العطاء من جديد و الأكثر من ذلك فالبحتري كرّر بعض الألفاظ التي استخدمها الشاعر السابق أمثال " السؤال، البدء" والعطاء التي عوضها بمرادفتها

[1]- يُنظر ابن الأثير، المثل السائر، ق3 ، ص234.

[2]- المصدر نفسه، ص 236.

[3]- المصدر نفسه، ص 238.

[4]- المصدر نفسه ، ص 239.

"الجود".

4-- أن يؤخذ المعنى فيُعكس، وذلك حُسنٌ يكاد يُخرجه حُسنه عن حدّ السرقة[1]، ومن ذلك قول أبي نواس:

قالوا عشِقتَ صغيرة فأجبتهم أشهى المطيّ إليَّ ما لم يُركبِ

كم بين حبة لؤلؤٍ مثقوبــةٍ لُبست وحبّـة لؤلؤٍ لم تُثقب[2]

وهو القول الذي عَكَس معناه مسلم بن الوليد فقال :

إنّ المطيّة لا يَلذّ ركوبها حتى تُذلّلَ بالزِّمام وتُركبـا

والحبّ ليس بنافعٍ أربابه حتى يُفصَّل في النِّظام ويُثقبا[3]

فمسلم بن الوليد فضّل المرأة الكبيرة الثيّب والتي رُوّضت من قبل وهو بذلك خالف أبو نواس الذي يفضل البكر الصغيرة التي لم يطرق الحبّ بابها من قبل.

5- أن يُؤخذ بعض المعنى[4]، فمن ذلك قول أمية ابن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان:

عطاؤك زَيْنٌ لامرئ إن حَبَوته ببذل وما كلّ العطاء يزين

وليس بِشَيْنٍ لامرئ بَذْل وجهه إليك كما بعض السؤال يَشين[5]

وهو ما أخذه أبو تمام فقال :

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر،ق3 ، ص244.

[2]- المصدر نفسه، ص 244.

[3]- المصدر نفسه، ص 244.

[4]-المصدر نفسه،ص246.

[5]- المصدر نفسه ، ص نفسها.

تُدعى عطاياه وفرًا وهي إن شُهرت كان فخارًا لمن يعفوه مؤتنفا

مازلتُ منتظرًا أُعجــوبة زمـــــنـا حتى رأيتُ سؤالا يجتني شرفا[1]

يرى أمية ابن أبي الصلت أن عطاء عبد الله بن جدعان شرفٌ يفخر به السائل في حين أنّ المسألة لغيره شينٌ وذلٌّ لصاحبها وقد أخذ أبو تمام المعنى الأول وهو الفخر بسؤال عبد الله بن جدعان وترك المعنى الثاني.

6- أن يؤخذ المعنى فيُزاد عليه معنى آخر[2]، ومن أمثلة ذلك قول البحتري:

خلِّ عنَّا فإنما أنت فينا واو عمرو أو كالحديث المُعاد

وهو المعنى الذي أخذه عن أبي نواس :

قل لمن يدّعي سُليْمى سفاهًا لستَ منها ولا قلامة ظفرٍ

إنما أنت مُلصقٌ مثـل واوٍ أُلحقت في الهجاءِ ظُلمًا بعمرو[3]

فالبحتري زاد على المعنى الذي أورده أبو نواس في عدم أهمية ذلك الشخص والذي لا يتعدى أن يكون كالواو في لفظة " عمرو" بـ " الحديث المُعاد".

7- أن يؤخذ المعنى فيُكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى، وهذا هو المحمود الذي يخرج به حسنه من باب السرقة[4]، ومن ذلك قول أحدهم:

مخضّرة الأوساط زانت عقودها بأحسن ممّا زيّنتها عقودها

---

[1]- ابن الأثير،المثل السائر ، القسم3 ، ص246.

[2]-المصدر نفسه، ص 249.

[3]- المصدر نفسه ، ص 251.

[4]- المصدر نفسه، ص 257.

أخذه أبو تمام فقال:

كأنّ عليها كلّ عقد ملاحة وحُسنًا وان أضحت وأمست بلا عقد[1]

فأبو تمام وفّق في تعبيره أكثر من الشاعر الأول.

8- أن يؤخذ المعنى ويُسبك سبكًا موجزًا، وذلك من أحسن السرقات، لما فيه من الدلالة على بسطة الناظم في القول وسعة باعه في البلاغة[2]، فهذه السرقة محمودة لما فيها من إعادة سبك وإيجاز مُستحسن، ومن ذلك قول أبي نواس:

وكلت بالدهر عينًا غير غافلةٍ من جود كفّك تأسو كلّ ما جرحا

أخذه ابن الرومي فقال:

الدّهر يُفسد ما استطاع ومحمد يتتبّع الإفساد بالإصلاح[3]

فكما هو واضح فابن الرومي أعاد المعنى الذي أورده أبو نواس بإيجاز مع دقة التعبير وحُسن السبك.

9- أن يكون المعنى عامًا فيُجعل خاصًا، أو خاصًا فيُجعل عامًا، وهي من السرقات التي يسامح صاحبها[4]، ومن ذلك قول الأخطل:

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

[1]- ابن الأثير، المثل السائر، ق3، ص 257.

[2]- المصدر نفسه، ص 257.

[3]- المصدر نفسه، ص 259.

[4]- المصدر نفسه، ص262.

أخذه أبو تمام فقال:

أألوم من بخِلت يداه وأغتدي للبُخل تِرْبا ساء ذاك صنيعا[1]

فالأخطل في بيته الشعري تحدّث عن الأخلاق بصفةٍ عامة وحذّر من النهي عن أيّ خُلقٍ والإتيان بمثله، وهو المعنى الذي أخذه أبو تمام وخصّصه حيث نهى هو عن إتيان البُخل بعد النهي عنه.

أما الانتقال من الخاص إلى العام فيتجسّد في قول أبي تمام :

ولو حاردَت شَوّلٌ عذَرتُ لقاحها ولكن مُنِعتُ الدَّرَّ والضَّرع حافلٌ

أخذه المتنبي فقال:

وما يُؤلمُ الحِرمان من كفِّ حارمٍ كما يؤلمُ الحِرمان من كفِّ رازِقٍ[2]

أبو تمام في بيته تحدّث عن تألمه من بُخل من يملك الشيء وخصّصه باللّبن ولكن المتنبي أخذ المعنى وعمّمه إلى كلّ ما يملكه المرء ويشّح به رغم قدرته على الجود.

10- زيادة البيان مع المُساواة في المعنى، وذلك بأن يُؤخذ المعنى فيُضرب له مثال يُوضحه ومن ذلك قول أبي تمام:

قد قَلّصت شفتاه من حفيظته فخُيِّل من شدّة التَّعبيس مُبتسما

أخذه المتنبي فقال:

وجاهل مدّه في جهله ضحكي حتى أتته يدٌ فرّاسَةٌ وفـمُ

[1]-ابن الأثير: المثل السائر،ق3، ص 262.

[2]- المصدر نفسه، ص 263 .

إذا رأيتَ نيوب اللّيْثِ بـارزةً فلا تضنّنّ أنّ اللّيث مُبتَسمُ[1]

اتفقت أبيات المتنبي وأبي تمام في نفس المعنى وهو أنّه ليس كلّ من يبتسم في وجهك ينوي لك الخير غير أنّ أبيات المتنبي كانت أحسن وذلك لاستخدامه الاستعارة.

11- اتحاد الطريق واختلاف المقصد[2]، أي أن يتناول الشاعران نفس الموضوع ونفس الغرض ولكن وفي خِضّم قولهما الشعري ينفصلان، ومن ذلك قول المتنبي:

تخون المنايا عهده في سليله وتنصره بين الفوارس والرّجلِ

وقول أبي تمام :

لا غَرْو إن فنان من عيدانه لقيا حِماما للبريّة آكلا

إن الأشاء إذا أصاب مُشذّبٌ منه انمهلَّ ذُرًا وأثَّ أسافلا[3]

فالشاعرين اتفقا في طريقهما وهو رثاء فقدان الولد غير أنّهما اختلفا في أنّ المتنبي رثى ولدًا واحدًا، بينما أبي تمام رثى ولدين بالإضافة إلى الاختلاف في تصوير المعاني لدى الشاعرين.

[1]- ابن الأثير،المثل السائر، ق3، ص 264.

[2]- المصدر نفسه، ص 265.

[3]- المصدر نفسه، ص 269.

ثالثًا: المسخ

هو قلب الصورة الحسنة إلى صورةٍ قبيحة وهذا كقول أبي تمام:

فتًى لا يرى أنّ الفريضة مقتلُ لكن يرى أنّ العيوب مقاتلُ[1]

وقول المتنبي:

يرى أنّ ما مَا بان منك لضاربٍ بأقتل مما بان منك لعائب[2]

فالبيتين السابقين يتفقان في المعنى وهو أنّ العيوب هي التي تقتل وليس ضربات السيوف والأمراض، غير أنّ المتنبي شوّه الصورة التي وضعها أبو تمام للمعنى الذي أورده.

اعتبر ابن الأثير قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة من أرذل السرقات، في حين نزّه قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة من السرقة واعتبرها إصلاحًا وتهذيبًا[3]، ومن أمثلة قلب الصورة القبيحة إلى صورةٍ حسنة قول المتنبي :

لو كان ما تعطيهم من قبلِ أن تعطيهم لم يعرفوا التّأميلا

وهي الصورة التي أخذها ابن نُباتة السعدي وحسّنها فقال :

لم يُبق جودك لي شيئا أُؤمله تركتني أَصْحبُ الدنيا بلا أملِ[4]

فبين القولين فرقٌ واضحٌ يلْحَظُه القارئ العادي فكيف بالعالم بخبايا الشعر.

---

[1]– ابن الأثير، المثل السائر، القسم3،ص 290.

[2]– المصدر نفسه، ص 291.

[3]– يُنظر المصدر نفسه، ص 291.

[4]– المصدر نفسه، ص 292.

خرج ابن الأثير في كتاب"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" عن أعراف النقد العربي القديم، الذي كان يولي جلّ اهتمامه للشعر دون النثر، فابن الأثير وعلى نقيض من سبقه اهتم بالناثر والقواعد التي يجب عليه أن يلتزم بها ليصل إلى المراتب العليا في هذا الفن، دون أن يُهمل الشاعر رغم أنّ اهتمامه به كان أقل مقارنة بالنثر.

هذا وقد خلصنا من خلال بحثنا هذا إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

– يُعدّ ابن الأثير من النقاد الأوائل الذين أولو اهتماما كبيرًا بالنثر، في الوقت الذي كان الشعر هو ديوان العرب الذي لا يعلو عليه فنّ آخر.

– إنّ كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر هو خلاصة التجربة الفنية للكاتب، فابن الأثير وفي استعراضه لمختلف القواعد التي حدّدّها للكاتب والشاعر، لا ينفك يستشهد بما خطّت يداه في كتبه ورسائله الكثيرة.

– أعاد ابن الأثير الاعتبار للفظة المفردة التي كانت مُغيّبة في الخطابات النقدية القديمة، وذلك من خلال وضعه لقواعد خاصة لاختيارها بعيدا عن التركيب، دون أن ينكر أهمية ائتلاف اللّفظة الواحدة مع الأخرى.

– لابن الأثير آراء نقدية وبلاغية تميز بها عن غيره، منها ما ذهب إليه من أنّ التشبيه جزء من المجاز ومنضوٍ تحته، خِلافًا للنقاد الذين ينادون بكون التشبيه جزءاً من الحقيقة.

– كتاب المثل السائر عبارة عن مجموعة من القواعد التي أقرّها ابن الأثير للشاعر والناثر وحثّهما على الالتزام بها من أجل الرقي بالعمل الفني إلى درجة الكمال.

– الضجة الكبيرة التي أحدثها ابن الأثير من خلال كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر مردّه آراؤه المُخالفة لآراء أعمدة النقد العربي، وكذا انتقاده لجلّ سابقيه من خلال هذا الكتاب.

هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا والذي خلَصنا فيه إلى أنّ ابن الأثير من أهم النُّقاد والكتاب في القرنين السادس والسابع الهجريين، حيث أعاد الاعتبار للنثر الذي كان مُهمّشًا قبله لصالح الشعر، ليقلب ابن الأثير الموازين في كتاب المثل السائر أين زاد اهتمام كاتبه بالنثر على حساب الخطاب الشعري، ليخرج بذلك عن ركب النقاد السابقين والمُعاصرين له.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

1- الكتب:

1- ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق: بدوي طبانة وأحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة القاهرة.

2- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين ورفعت

بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2.

3- حسن الشيخ عبد الواحد، صناعة الكتابة عند ضياء الدين ابن الأثير،مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، ط1، مصر، 1419هـ - 1999م.

4- زغلول محمد، ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد، دار المعارف، ط1، القاهرة مصر، 1949م.

5- الشيباني أبو عمرو، شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح عبد المجيد همّو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1422هـ 2001م.

6- الصفدي، صلاح الدّين خليل، نُصرة الثائر على المثل السائر، تحقيق: محمد علي سلطاني، مطبوعات مجمع اللّغة العربية بدمشق، سوريا، دت.

7- ضيف شوقي، الحب العُذريّ عند العرب، الدار المصرية اللّبنانية، ط1، القاهرة، 1419هـ 1999م.

8- عبد المطلب محمد، جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، لونجمان القاهرة، 1995م.

9- الفاخوري حنّا، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم-، دار الجيل، ط1، بيروت لبنان، 1986م.

2- المجلات والدوريات:

10- أبحير محمد: ابن الأثير وكتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أنفاس نت من أجل الثقافة والإنسان، فيفري2017.

11- أنصاري محمد مولود:الطبع والصنعة عند ابن الأثير في كتابه: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مجلة أصول الدين، د ت.

12- جلول ريان عبد المجيد وسليطين وفيق محمود: في المنهج النقدي عند ابن الأثير في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، العدد 21، ربيع وصيف، 1394هـ/2015م.

3-المواقع الإلكترونية:

13- جامعة بابل كلية التربية الأساسية، المثل السائر لابن الأثير،

http//www.uobabylon. edu.iq/uobcoleges/lecture.،

جوان 2018.

فهرس الموضوعات

الإهداء

مقدمة.....1

مدخل: ابن الأثير وكتابه: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر

مسار حياة ابن الأثير 5

أدب ابن الأثير.....6

مضمون المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.....8

القيمة الفنية للمثل السائر.....8

الكتب المنتقدة للمثل السائر.....12

الكتب المؤيدة للمثل السائر.....20

الفصل الأول: الصناعة اللّفظية عند ابن الأثير

في الصناعة اللّفظية.....23

في اللّفظة المفردة.....23

في اللّفظة المركبة.....32

في الصناعة المعنوية.....58

في الكلام عن المعاني مجملا.....58

أنواع المعاني.....61

الخاتمة.....112

قائمة المصادر والمراجع.....114